

عبدالله الزكرة

عقبة بن نافع

دار قتيبة


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

عقبة بن نافع

١٤٠١ - ١٩٨١

عبد الله الزلكة

عقبة بن نافع

راجعه

الأستاذ
عبد السلام سعيد

الأستاذ
محمد سويسي

دار قتيبة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إلى شباب الأمة العربية الذين تتوق نفوسهم إلى حياة العزة والكرامة . إلى الذين يصممون على أن يظفروا بإحدى الحسنتين . النصر المؤزر لبناء حضارة جديدة ترتكز على مبادىء الدين الحنيف والتحقق القويم والتقدم الشامل في جميع نواحي الحياة ، ليعيش الانسان في أمن وسيادة ، او الاستشهاد في سبيل اعلاء كلمة الله والفوز بالجنة والنعيم المقيم .

إلى هؤلاء الشباب نقدم عقبة بن نافع المسلم المجاهد الذي وهب نفسه في سبيل الله . فانطلق يجاهد من الجزيرة العربية حتى وقفت به فرسه في جبل طارق ، فقهر الاعداء ، ونشر الاسلام ورفع راية الحق في كل منطقة فتحها . والله ولي التوفيق .

المدخل الى البحث

من الأمور المسلم بها أن الأمم التـي تتطلـع إلى الحياة ، وتنشد الرقي . هي تلك الأمم التي تعتز بماضيها ، وتحتفل بما حققه آباؤ ها وأجدادها من مفاخر وأمجاد .

إن اعتزاز الأمـم بتاريخهـا يمنحهـا الثقـة ، والأصالـة ، ويفجر فيها طاقات الخلق والابداع ، فتنطلق إلى أهدافها في اطمئنان ، وتسحق أعداءها في إيمان وشعارها :

نبني كما كانت أوائلنا تبني ونصنع فوق ما صنعوا

وفي تاريخ العـرب والمسلمـين ما يدعـو إلى الاعجـاب والاعتزاز والفخر :

فقد كنا خير أمة أخرجت للناس .

قدمت للانسانية وللعالـم أجمع نموذجاً للانسان المسلم في كماله واكتماله ، وكيف ترتفع به عقيدته عن الدنايا ، وتسمو به إلى النقاء والصفاء ، وتقتل في نفسه نوازع الشر ، وتبعث فيه من روحها العزم والمضاء : فإذا هو الشجاع المقدام الذي بحث عن الموت فوهبت له الحياة .

لقد انطلق المسلمون الأوائل يمكنون لدينهم الذي ارتضاه لهم ربهم ، ينشدون إحدى الحسـنيين : إمـا النصر وإمـا الشهادة .

وفي ساحات الصراع : الصراع بين الحق والباطل سجل العرب المسلمون آيات رائعة في البطولة والفداء . والتضحية والاستشهاد .

وتاريخ العرب والمسلمين غني بالقادة العظماء الذين أسسوا دولة الاسلام على هدى من مبادىء دينهم ، وتعاليم نبيهم .

ومن هؤلاء : عمر بن الخطاب ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وسعد بن أبي وقاص ، وأبو عبيدة ، وعقبة بن نافع ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وصلاح الدين وعمر المختار وغيرهم من القادة الأبطال الذين أسسوا لأمتهم مجداً . وتركوا لها تاريخاً يعتز به ويفخر كل عربي وكل مسلم . .

وموضوع هذا الكتاب هو «عقبة بن نافع» القائد العربي المسلم الذي خاض المعارك في إيمان وإصرار ، ونزه الجهاد عن أغراض الدنيا ، واندفع إلى الساحل الافريقي يحطم الطغاة ، ويعيد معنى الحياة ، لمن سلبوا معنى الحياة ، ويكتب بدمه العربي وثيقة عروبة وإسلام إفريقيا مدى الحياة .

إن الأمة العربية المسلمة التي استردت حريتها ، وامتلكت مقدراتها ، وداست بالأقدام أعداءها على طريق زحفها إلى أهدافها .

إن هذه الأمة العربية المسلمة يجب عليها أن تضع أمام شبابها «عقبة» قيمة عقائدية وعسكرية وبطولية يتلمسون منها القدوة والمثل . والموعظة الحسنة .

وحسناً ما فعلته الجماهيرية العربية الليبية الشعبية الاشتراكية : إذا انتفض أحفاد عقبة الأبطال . . أبطال ثورة الفاتح العظيمة فطهروا أرضهم من رجس الاحتلال وأطلقوا اسم القائد البطل على قاعدة «هويلس» وعلى كثير من المنشآت والمساجد والمدارس والشوارع والميادين .

وليت الأمة العربية المسلمة تتخذ من «عقبة بن نافع» مجالاً واسعاً للدراسة والمناقشة والحوار ، وأن تترجم القيم التي آمن بها «عقبة» والمبادىء التي حرص عليها ، وضحى بروحه من أجلها ـ إلى عمل عربي إسلامي موحد يطهر الأمة العربية المسلمة من آثام الصهيونية وعملائها ، ويعيد لها أمجادها وعزها ووحدتها تحت لواء العروبة والاسلام من المحيط إلى الخليج .

هذا هو الفتى القرشي «نافع بن عقبة» الذي ناضل تحت راية الاسلام في الشام وفي مصر . . وفي ليبيا ، وعلى امتداد الساحل الافريقي راضياً محتسباً .

هذا هو «عقبة بن نافع» المثل للفتوة في الاسلام ، أقدمه في هذا الكتاب وهو جهد متواضع أرجو أن يوفقني الله فيه .

محمد عبد الله الزكرة



أصله ونسبه

هو عقبة بن نافع بن عبد القيس الفهري . وأمه «النابغة» من «عنزة» وهو أخو عمرو بن العاص لأمه . وفي رواية أخرى أنه ابن خالته . وعلى كل «فعقبة» تربطه «بعمرو» صلة قرابة من جهة الأم ، ومن جهة الأب ، فهما من قريش .

وقد حارب والده مع الرسول وصاحبه ، وصادق أبا بكر ، وقاد الجيوش المظفرة في عهد عمر . ودعا إلى الاسلام في الجزيرة ، ونقل دعوته إلى الشام ، وأعز لواءه في العراق ، ولم يبخل في هذه الغاية الكريمة بالدم والروح .

في كنف هذا الأب المجاهد نشأ عقبة ، وتكونت شخصيته في بيئة إسلامية : نما عوده واشتد في عهد الرسول ﷺ ، ودعا له بالخير . بالاضافة إلى أن قبيلته من القبائل العربية التي كان لها ماض عريق في حروب الجاهلية .

في تلك البيئة ، وفي هذه الظروف نشأ «عقبة» فلا عجب أن حمل سلاحه مجاهداً في العصر الذهبي للفتح الاسلامي ، وبرز في ساحات القتال متحملاً قسطه الأوفى من الجهاد بحرص واندفاع وتجرد وإقدام حتى لقد أصبح الجهاد في

سبيل الله حرفة له ، فصلب عوده منذ حداثة سنه ، وتفتحت فيه مواهب القيادة المبكرة ، شأنه في ذلك شأن قادة المسلمين الأوائل .

الأحداث التي أثرت في عقبة

١ ـ خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، وخلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه .
٢ ـ اشترك «عقبة» مع «عمرو بن العاص» في فتح مصر .
٣ ـ فتح طرابلس الغرب «انطابلس» وبرقة .
٤ ـ خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .
٥ ـ عزل «عمرو بن العاص» وتعيين «عبد الله بن سرح» ولاية مصر .
٦ ـ غزو المسلمين لجزيرة قبرص .
٧ ـ موقعة ذات الصواري .
٨ ـ خلافة «علي بن أبي طالب» رضي الله عنه . وعهد الفتنة الكبرى .
٩ ـ وقعة الجمل ـ وقعة صفين .
١٠ ـ خلافة معاوية ـ ويزيد ابنه ، ومقتل الحسين في كربلاء .
١١ ـ الفتنة في خراسان ، وخروج «كسيلة» في افريقية .

طليعة

بعد انتصار المسلمين في مصر ، والاستيلاء عليها ، وطرد الروم منها بقيادة «عمرو بن العاص» فكر أن يواصل حملاته ضد الـروم ومطاردتهـم ، وتخليص الشعـوب من كيدهـم وغطرستهم واستثمارهم البغيض . واستمر يفكر ويفكر ، لقد طردنا الروم من الشـام ، وطردناهـم من مصر . تُرى أيسكتون على هزائمهـم أم يعـدون عدتهـم لنـا في ليبيا ، ليهجموا علينا ، ويأخذوا بثأرهم منا ؟

إن الروم لن يسكتوا عن هذه الهزائم ، ولا بد أن يكيدوا لنا .

إن جيش الروم الهارب إلى ليبيا وباقي افريقيا جيش كثير العدد والعدة ، ومن واجبنا أن نأخذ حذرنا منه بأن نطارده في كل مكان ، حتى لا يستقر ، ويعد العدة لينقض علينا ، وبخاصة أن مصر بعيدة عن دار الخلافة . وحدودها الغربية في متناول يد عدونا .

ورأى «عمرو بن العـاص» من الأفضـل أن يرسـل أولاً طلائع استكشافية ترصد العـدو ، وتلاحـق مواقعـه ، ثم تعود ، وهذه الطلائع يلزمها رجل قوي مخلص ، حريص على النصر أو الاستشهاد . ونظر «عمرو» إلى رجاله نظـرة

فاحصة مدققة . تُرى من يصلح لهذه المهمة ؟ ولم يطل تساؤله . إنه الفتى الشجاع المقدام الذي طالما أوكل إليه المهمات العسيرة ونجح فيها . . وكان عند حسن ظنه . إنه «عقبة» .

ضحك «عمرو» واستبشر عندما وقع اختياره على عقبة ، لأنه يعرفه حق المعرفة يعرف صدقه وإخلاصه ، وبطولته وشجاعته في معاركه السابقة ، وقدرته على النقاش ، وإطلاعه الواسع بأحوال رجال القبائل وعاداتهم وتقاليدهم ، وذكر له ما يشغل فكره قائلاً له :

- يا عقبة أريدك لأمر هام .

- لبيك يا بن خالتي .

- أريدك أن تذهب على رأس سرية إلى برقة تستطلع الأخبار ، وتعرف ما عليه القوم ، حتى نتابع مسيرتنا ونحن آمنون ، فلا نطعن من الخلف يا عقبة لقد أخترتك لهذا الأمر ، ومعك من تحب من أصحابك وصفوة خلانك ، فإذا كان الصباح فاذهب بسريتك على بركة الله إلى «برقة» ، أسرع ولا تبطىء ، وابعث إلي بما يكون .

التوجه إلى عقبة

تحرك «عقبة» على رأس سرية من أشجع الفرسان نحو «برقة» يستطلع البلاد ، ويؤمن ظهر المسلمين في مصر ، ريثما يفرغون من فتحها .

وسار المسلمون أياماً في قافلة صغيرة في الجبال والوديان والسهول ولما وصل عقبة ومن معه من المسلمين إلى برقة أقبل عليهم عدد من الأهالي ظناً منهم أن هؤلاء الرجال القادمين تجار جاءوا للبيع والشراء ، ولما اقتربوا منهم كان عقبة ومن معه قد وقفوا ، واتجهوا نحو القبلة في خشوع لله ، وكبروا للصلاة ، وأخذوا يركعون ويسجدون وأهالي برقة ينظرون إلى أفعالهم وحركاتهم ، ويستمعون إلى أصواتهم في إعجاب وتقدير واحترام ، بل إن نظرتهم كأنها نظرة إنسان هداه الله إلى الاسلام وآمن به .

وما أن انتهى المسلمون من صلاتهم حتى طلبوا منهم أن يقتربوا ، ويجلسوا بجانبهم وأخذ كل فريق منهما يتعرف على صاحبه ، ويتحدث معه بالاشارة تارة . وبالكلام تارة وقد ظهر على الجميع البهجة والسرور والمودة ، وكأنهم يتعارفون منذ زمن بعيد .

وبقي «عقبة» ورفاقه أياماً تمكنوا فيها من توثيق صلتهم بأهالي برقة ، وزيارتهم في نجوعهم ومساكنهم ، وتعرفوا على أحوالهم معرفة صحيحة ، وقد راعهم ما اتصف به المسلمون من صدق وإخلاص ، ومعاملة حسنة تبعث على الثقة والاطمئنان .

لقاء الأشقاء

لقد وجد كل فريق من الآخر ما ملأ نفسه غبطة وسروراً . . وجد المسلمون في أهالي برقة صفات الانسان الذي يعتز بالشهامة والكرم والمروءة والنجدة والوفاء .

كما أحس أهل برقة في المسلمين هذه الصفات ، وجدوا قوماً القوي فيهم كالضعيف ، والغني كالفقير . فهم سواسية كرجل واحد . لا ألقاب ، ولا نعوت تملق تدور بينهم .

ولقد وجد «عقبة» من خلال المدة التي قضاها في برقة ما ملأ قلبه غبطة وسروراً . ولكنه وجد ما أحزنه وأقلقه : وجد منهم من يعبد الأصنام ، ولا يعبد الله خالق السموات والأرض ، الأمر الذي أوجب على «عقبة» أن يزيد من اتصالاته بهؤلاء الناس ويتقرب إليهم أكثر ، ليتلو عليهم آيات من القرآن الكريم ، ويعرفهم بالدين الاسلامي

الحنيف ، دين الحق والعدالة والمساواة ، فاطمأنوا إليه ، واستجابوا له ، وآمنوا بالاسلام وقد بين لهم أن هذا الدين هو ما جاء به محمد بن عبد الله النبي العربي الأمين ، وأنه ورفاقه من أتباع محمد ، وأخذ يعلمهم الوضوء والصلاة .

واستمر «عقبة» ومن معه يدعون إلى الاسلام ، حتى أسلم على أيديهم عدد كبير ، وصاروا لهم أنصاراً أعانوهم على الجهاد ، وسهلوا لهم مهمتهم الاستطلاعية في الجبال والوديان والسهول .

فتح النوبة

استعان «عقبة» برجال القبائل وهو في «برقة» واعتمد عليهم في حملته التي قام بها لفتح النوبة ، وذلك حرصاً منه على سلامة الحدود الجنوبية لمصر ، بعد أن أمن الحدود الغربية .

ولم يستأذن في حملته هذه «عمرو بن العاص» ولم يطلب منه مدداً ، ظناً منه أن فتح النوبة أمر سهل وبسيط .

أعد «عقبة» جيشه على الخطة التي أرادها ، وسار نحو الجنوب ليدخل أرض النوبة ، وقد ظن «عقبة» أنه سيلقى جيشاً كجيش الروم أو من يوالونهم بأسلحة اعتادوا على صدها ، ولكنه فوجىء بقوم بارعين في تصويب النبال

الصغيرة المسمومة ، وبأرض لا تشبه في طبيعتها طبيعة الأراضي في ليبيا ومصر .

ولما عبر حدود النوبة ، خرج إليه قوم شجعان . كثيرو العدد ، استطاعوا أن يصدوه منذ اللقاءات الأولى ، فقد كانوا يجيدون تصويب النبل في مقتل من أجساد المسلمين ، وبخاصة العيون ، وقد سمى العرب هذه المعركة بمعركة «الحدقة» واضطروا إلى الانسحاب السريع خشية أن يفقدوا أعينهم جميعاً وعندما عرف «عمرو بن العاص» من «عقبة» مهارة أهالي النوبة وشجاعتهم أعد لهم كتائب ترصد تحركاتهم ، وتمنع اقترابهم من مصر .

فشل الدعايات المغرضة

وقد مكنت هذه الحملة المشتركة التي قام بها المسلمون والليبيون لفتح النوبة من أن يعرف بعضهم البعض الآخر معرفة حقيقية وهكذا وجد أهالي «برقة» وغيرهم في المسلمين نماذج كريمة للرجال في سموهم ونقائهم وصفائهم ، وبرهم وعدلهم .

مما أزال كل أثر سيىء لدعايات الرومان عن المسلمين .

وحمد الله أهل برقة على ظهور حقيقة المسلمين ، وصفاتهم الحميدة . ودينهم السماوي السمح ثم توجهوا إلى

«عقبة» ورجاله قائلين :

لقد أصبحنا نثق فيكم ، ونأنس إليكم ، ومن واجبنا وقد صرنا إخوة في الدين وفي الجوار أن نصارحكم بما نعانيه من ويلات الروم ، واستغلالهم لنا ، وتحكمهم فينا فقد أخذوا أموالنا ، واحتلوا أراضينا ، وشردوا أطفالنا ، ونظروا إلينا نظرة المتكبر المتغطرس الذي يهزأ بكل القيم الانسانية ، حتى لكأنهم من طبقة عليا ، ونحن من طبقة سفلى .

فقال «عقبة» لعنهم الله ، أخلاق الروم أخلاق الجبناء الذين لا يستطيعون أن يقفوا أمامنا في المعارك ، بل يفرون هاربين تاركين وراءهم كل ما يملكون وجاءوا إليكم يفترون علينا ، ويبثون الدعايات السيئة ضدنا .

إن ديننا يسوى بين الناس جميعاً ، لا يفرق بين أبيض وأسود ، وغني وفقير إلا في العمل الصالح «يا أيها الناس إنا خلقنا من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم» .

أنقذونا من الروم

وهنا وقف واحد ، وقال «لعقبة» :

ما دامت أخلاقكم بمثل هذه السماحة . وما دامت لكم

قوة طردتم بها الروم من الشام ومصر . فلماذا لا تنقذوننامن الروم ؟ لقد عملوا على إضعافنا بنشر الفرقة بيننا لأنهم يدركون أنهم لا يستطيعون مواجهتنا ونحن متحدون كالجسم الواحد ، أساءوا إلينا وأذاقونا مر العذاب .

قال «عقبة» لقد جئنا لانقاذكم وتخليصكم مما أنتم فيه من العذاب . ونحن ـ المسلمين ـ قريبون منكم في مصر ومكة والشام والعراق ، وتأكدوا أن ساعةالفرج قريبة ، ومن أراد منكم أن يسافرمعنا من الآن فلا حرج عليه . إننا راحلون إلى مصر غداً إن شاء الله ، وسيرى بعينيه قوة المسلمين .

نظر عدد من رؤساء القبائل بعضهم إلى بعض نظرة فرح واستبشار ، وقالوا : نريد أن نسافر معكم ، لنطلع على قوة المسلمين هناك ، واستعدوا للسفر .

طليعة الليبيين في ضيافة عمرو بن العاص

عاد «عقبة» وأصحابه ومعهم رؤساء القبائل المسلمة إلى مصر . وكان في استقبالهم عمرو بن العاص والي مصر ، فاستبشر بهم ، وأحسن لقاءهم وتحدث معهم حديثاً طويلاً ، اطلع منه على أحوالهم ، وما يقاسونه من ظلم على أيدي الروم ، وقد طمأنهم عمرو ، قائلاً لهم : إن ساعة الخلاص قد قربت بإذن الله والتفت إلى «عقبة» ومن معه ،

فأطلعوه على المهمة التي كلفهم بها وقالوا له : لقد جئنا ومعنا إخوة لنا في الدين والعروبة ، ومن واجبنا أن نخلصهم من ظلم الروم وسيطرتهم ، إنهم يعلقون علينا آمالاً كبيرة في مساعدتهم والوقوف معهم ضد الروم المستعمرين ، ووضعوا أمامه خريطة العمل لطرد الروم من «برقة» ووضحوا له نوعية العتاد اللازم ، وبينوا له أن المنطقة التي عادوا منها منطقة واسعة تقع بين «بنغازي» و «زويلة» التي تقع في قلب الصحراء وقد صارت هذه المنطقة للمسلمين ، وذكروا له أن «برقة» إقليم واسع كبير يشتمل على مدن وقرى وعاصمته «بنغازي» .

خيرات برقه

وفي اقليم «برقة» خيرات كثيرة وفواكه متنوعة : كالجوز(١) واللوز والسفرجل(٢) .

ويسكن هذا الاقليم عدد كبير من الناس الذين يشبهوننا في العادات والتقاليد وفيه المياه العذبة التي تنزل من السماء ، وتجري في أودية تتحول إلى برك وصهاريج

بالاضافة إلى الآبار المحفورة في جميع المناطق .

كما يعتبر إقليم «برقة» إقليماً تجارياً هاماً ، حيث كان التجار قديماً يكثرون التردد عليه متنقلين بين تونس ومصر وأواسط القارة من الجنوب ، وهو ملتقى القوافل تشتري ما يلزمها ، وتبيع ما عندها .

وقد قال عنه أحد الباحثين قديماً : «إن برقة متسعة الأرجاء ، مديدة الفضاء وهي أحسن المراعي ، كما أنها شبيهة بأطراف الشام ، وجبال نابلس في منابت أشجارها ، وطبيعة أراضيها .

كما أن الطرقات التي كانت تربط بنغازي بالاسكندرية طرقات سهلة ومريحة حيث أن السائر فيها يسير تحت ظلال الأشجار المثمرة التي تقع على جانبي الطريق .

ويقول البلاذري : «إن أراضي «برقة» أخصب أرض في المغرب ، ولسهولة السير في طرقاتها ، ولجمال مناظرها ، وكثرة خيراتها ، وكرم ناسها أحب العيش فيها بعض الصحابة» .

وقد قال عنها عمرو بن العاص : قعدت مقعدي هذا ، وما لأحد من قبط مصر على عهد ولا عقد إلا أهل «أنطابلس» يقصد «بنغازي» فإن لهم عهداً بوفائه .

أما «زويلة» المنطقة الثانية التي اطلع عليها «عقبة» في جولته الاستطلاعية فهي تقع في الجنوب الشرقي من «مرزق» بنحو ١٥٠ كيلومتر ، وتبعد عن مدينة «طرابلس» إلى الجنوب الشرقي بنحو ٧٧٠ كيلومتر .

وزويلة مدينة من مدن فزان القديمة ، وسميت بعد الفتح الاسلامي بمدينة الاشراف .

أهمية برقة

إن إقليم «برقة» يابن العاص مهم جدا للفتوحات الإسلامية ، لأنه الطريق الوحيد الذي به نستطيع أن نعبر منه إلى تونس وغيرها لرفع راية الإسلام والعروبة خفاقة في تلك الربوع ، وليس هذا فحسب يابن العاص ، بل إننا لا نستطيع أن نؤمن الحدود المصرية إلا إذا تابعنا فتوحاتنا ، وطاردنا فلول الروم المتربصين بنا ، إن في ليبيا أناساً عاهدناهم على أن نقف معهم ، ونخلصهم مما هم فيه من بلاء ، واستعمار بغيض .

ثم إن الليبيين جيراننا ، وهم أهل رجولة ونخوة ووفاء ، وقد كانوا يتتبعون انتصارات المسلمين على الروم بشوق بالغ ، بل إن بعضهم كان على معرفة تامة بما يجري في مصر وغيرها من بلاد الإسلام ، قبل أن ندخل أراضيهم كما أنه

ليس من المستبعد أن يكون بعضهم قد دخل الإسلام قبل أن نراهم ، لقد لحظنا عليهم رجاحة العقل ، وبعد النظر ، والتخلق بأخلاق المسلمين ، والشبه الكبير بينهم وبيننا في العادات والتقاليد .

[الليبيون وابن الخطاب]

إننا متأكدون يابن العاص أنك تستطيع إقناع الخليفة عمر ابن الخطاب بضرورة فتح «برقة» والمغرب ، لإنقاذ إخواننا من ظلم الروم .

وكيف لا يقتنع عمر بذلك ومعنا إخواننا من رجال القبائل الذين قدموا معنا إلى بلادنا ليعلنوا إسلامهم ، ومن حقهم علينا ـ وقد أسلموا ـ أن نكون في عونهم نحميهم من الروم عدونا وعدوهم . أرسلهم يابن العاص إلى الخليفة «عمر» إني لا أخفي عليك أني مشتاق إلى الجهاد في سبيل الله ، خدمة لدعوة الإسلام في تلك البلاد القريبة منا ، وهي على استعداد لقبول ماتدعوا إليه من مبادىء .

قال ابن العاص : إني مقتنع مثلكم بأهمية فتح ليبيا لنشر الإسلام فيها وتخليص إخواننا مما هم فيه من ظلم.وهاأناذا أسرع في إرسال رجال إفريقيا إلى ابن الخطاب في المدينة .

ابن الخطاب يشهد بشجاعة الليبيين

رحب بهم ابن الخطاب أجمل ترحيب ، وبخاصة بعد أن عرف أنهم قدموا لإعلان إسلامهم ، وأنهم من أولاد «بوبن قيس» ولما سألهم عمر عن عاداتهم وعلاماتهم أخبروه بها ، فبكى ، لأن النبي ﷺ كان قد تنبأ بفتح بلاد لأهلها هذه الصفات ، ثم قال :

«ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين»

وكتب إلى عمرو بن العاص : ياعمرو توجه إلى برقة» واجعل هؤلاء الرسل في مقدمة جنودك ، فقد عرفت من حديثهم أنهم ذوو خبرة بفنون القتال ومعرفة بشئون العدو ، اجعلهم من أهل خاصتك ، واستشرهم فيما يهمك من أمور .

وسار معهم «عمر» مودعاً ، ومنحهم شيئاً من هداياه ، فرجعوا إلى عمرو وقد تفتحت قلوبهم لدعوة الإسلام .

* * *



جيش الفاتحين

بعد أن تناقس عمرو مع رجاله في نتائج الرحلة الاستطلاعية التي قاموا بها من قبل ، إلى برقة بقيادة «عتبة» وتبين له أن الليبيين في «برقة» ساخطون أشد السخط على الروم القابضين على رقابهم النازفين لأموالهم ، وبعد أن فاز بموافقة الخليفة عمر بالتوجه إلى «برقة» أخذ يعد العدة ، وقبل أن يتحرك الجيش أرسل «عقبة» لفتح «زويلة» تحرك الجيش العربي بقيادة «عمرو بن العاص» ٦٤٢ م وفي طليعته «عقبة» وفرسان من برقة» وتوجهوا إلى ليبيا ، يقطعون المسافات الطويلة يصعدون جبلاً ، ويهبطون وادياً ، يدلهم طلائع الليبيين الذين يجيدون فنون الحرب .

وخاض الجيش العربي في طريقه إلى «برقة» عدة معارك بعضها معارك شديدة ، وبعضها معاركُ لم يشتد أوارها .

وليس من السهل على الروم ولا على بعض زعماء القبائل الليبيين أن يستسلموا بسهولة أمام القوة العربية .

لقد كان الروم في المدن الساحلية يأكلون خيراتها ، ويسخرون أهلها لخدمتهم والسهر على مصالحهم ،

والدفاع عن راحتهم ومكاسبهم ، فأنشئوا المعسكرات الكبيرة ، وبنوا القلاع الضخمة على المدن الساحلية .

أما في الداخل فقد اكتفى الروم بتعيين زعماء القبائل على المناطق التي يسيطرون عليها وبذلك استطاع الروم أن يخدعوا زعماء القبائل : بأن جعلوهم مخلب قط . يسخرونهم لجمع الضرائب من السكان ، وفلاحة الأرض ، ورعي الأغنام ، والعمل في منازلهم وحشدهم في المعسكرات لحمايتهم من المعتدين ، وحراسة أموالهم التي نهبوها وبالرغم من طول المسافة ، وكثرة التحصينات ، والمعارك التي دارت بين الجيش العربي وجيش الروم ومن معهم . فقد استطاع الجيش العربيأن يواصل تقدمه ، حتى وصل «بنغازي» في نفس السنة فوعد أهلها في انتظاره خارج المدينة ، وقد استقبلوه أحسن استقبال ، لأنهم كانوا يتطلعون إليهم ،ويأملون أن يكون خلاصهم من الروم على أيديهم .

في برقة وضعت الخطط الحربية

وهذا ما يفسر لنا مبادرتهم بتقديم فروض الولاء لجيش المسلمين ، واستسلامهم طائعين مختارين ، فصالحهم عمرو وعقبة نظير دينار واحد عن الرجل ،

ولاتـؤ دى عن الشيوخ ولاالنساءوالأطفــال وقــد ظل هذا الاتفـاق نافـذاً إلى أن وصـل المسلمـون إلى البـلاد التــي تجاورها . وكان هذا الاتفاق نافـذاً على كل من لـميدخـل الإسلام . فمن أعلن إسلامه عومل معاملة المسلم .

ولهذا انتشر الإسلام بين القبائل دون ما عناء . . . لقد رجعت القبائل بجيش مسلم يؤ اخيهم ، وتربطهم به رابطة المساواة والحق والعدل .

وكما سبق أن بينا فإن سكان «بنغـازي» استقبلـوا جيش المسلمين خارج المدينة استقبال الفاتحـين ، لأن «عقبـة بن نافع» كان قد مهد له الطريق ، ولأن الشعـب نفسـه كان متفهماً نفسية القادمين الجدد ، بعد أن خبر عقبة ، وربـط معاملة هذا القائد الطيبة بما سمعه عن فتوحاتهم السابقة ، وقارنها بمخازي الروم .

وبالرغم من هذا الاستقبال الرائع فإن عمراً قام بعمليـن في «بنغازي» قد يبدوان لأول وهلة مدعاة للتساؤ ل .

الأول : أنه أمـر بتخريب أسوار المدينـة ، ولـم يخطـئ عمرو في عمله هذا لأنه صمم على متابعة الفتح ، والسير قدمـاً ، وكان يخشى أن يعـود جيش الـروم إلى المدينــة ، ويتحصن ضده ، لذا فقد آثر الحفاظ على خط الرجعة

الثاني . وضع «عمرو» في «برقة» خطة عسكرية واسعة ، لأن النجاح الذي أحرزه الجيش العربي كان حافزاً على الاستمرار في الفتح ، وتساءل عمرو في مجلس حربه . وقال: أنبني خطتنا على غزو الروم المتحصنين في قلاعهم ومعسكراتهم المقامة في مدن السواحل لقد تحصن الروم في قلاعهم يشاركهم في حصونهم جيش من سكان المدن الساحلية ونحن إذا تتبعناهم ، وتوغلنا في مطاردتهم . فلن نأمن شر أحلافهم ، كما أننا لا نأمن مدداً يأتيهم من الداخل ، أو من أعماق الصحراء ، وقد يطوقون جيشنا ، ويهزموننا . أم نتجه نحو البادية ونغزو أعداءنا في الصحاري والوديان والسهول ، ونلتقي برجال البادية الأشداء الذين يجيدون فن الحرب ، ولهم جلد وصبر على تحمل المتاعب ومواصلة الحرب ، وخبرة جيدة بمسالك الصحراء وطرقاتها ، وآبارها وواحاتها وقد تطول المعارك بيننا وبينهم ، وقد يتأخر النصر .

الأعداء الحقيقيون

وإذا انتصرنا فعلى من ننتصر ؟!! إننا لم ننتصر على أعدائنا الحقيقيين ، جيش الروم وإنما انتصرنا على رجال غرر بهم الروم وخدعوهم ، فما عادوا يعرفون عدوهم من

صديقهم ، ولو أدرك هؤلاء المخدوعون من رجال البادية أننا لم نأت لقتالهم وإنما لقتال أعدائهم وأعدائنا الذين يمرحون ويتمتعون بما غصبوا من أموال لما رفعوا سلاحهم في وجوهنا ، وقد أدرك هذه الحقيقة البعض ، ولكن الكثيرين منهم لم يدركوها بعد ، إنه أمر محير حقاً أن نحارب أناساً غُرر بهم ، وندرك أعداء حقيقيين يمرحون ويتمتعون بما جمعوا من ضرائب ، وما نهبوا من أموال ومتاع .

قال عقبة : لا داعي للحيرة ، والرأي أن نبدأ بحرب أعدائنا في الشمال والجنوب في السواحل والصحاري ، وفي كل مكان . حتى نشغلهم ، ونفوت عليهم جميعاً فرصة تقديم أية مساعدة لمن يحتاجها ،

وقد وقع هذا الرأي برداً وسلاماً على قلب عمرو ،وقال : إنه رأي صائب بالرغم من أن تحقيقه يحتاج إلى رجال أشداء ذوي قدرة على شن المعارك في الشمال والجنوب ، كما يحتاج إلى قادة مهرة في حروب السواحل والصحاري .

ومن يقود حروب الصحراء إن توليت قيادة المعارك في السواحل ؟!!

ومن يقود حرب السواحل إن توليت قيادة المعارك في الصحاري ؟!!

وأجاب «عقبـة» : ما أكثـر جنـد الله يابـن العـاص . . هؤلاء هم الرجـال! هؤلاءهـم جنـد الله القـادرون على الحروب ، وشن الغارات في جميع أماكن القتال مهما كانت صعوبتها ، ومهما كان العدو الذي يواجهونه ، لا تحتر يابن العاص واختر من تريد من الرجال ، وخض بهم المعارك في أي اتجاه تريده ، والله ينصركم ويثبت أقدامكم ، واترك لي من تريد من الرجال ، لنسير في الاتجاه الـذي نريده لنشر دين الله ، ورفـع راية العروبـة والإسـلام خفاقـة في هذه الربوع التي وطدنا العزم على تحريرها ونجدتها وإنقاذها من يد الاعداء أعداء العروبة والاسـلام والله ينصرنـا ويحقـق أمانينا

الرأي الصائب

ورد ابن العاص : إنك دائماً يا عقبة تنطق بالرأي الصواب ، وإني أعرفك وأعرف أنك خير من يتـولى قيادة الجيش الإسلامي في الصحاري والبراري وإن لك رجـالاً يـعرفونك . رجالاً من البادية ، وإن لك صبراً ، وقدرة على تحمل متاعب الصحراء ، وأنت أدرى النـاس بمعرفـة أحوال البدو وغيرهم . لذلك وقع اختياري عليك لتتـولى قيادة جيش المسلمين في الداخل وفي الـصحراء . واعتمـد

على رجال أمناء لك يقومون بمناوشة العدو ، ومنعه من تقديم أية إمدادات عسكرية لمن يحارب في السواحل .

كما اختار «يسر بن أرطاة» لقيادة جيش الإسلام لفتح «ودان» واختار «عبد الله بن الزبير» لقيادة جيش آخر لفتح «صبراتة» .

وكانت الخطة العسكرية التي اختطها المسلمون في جلستهم العسكرية تقتضي توزيع قواتهم وتسييرها بخطوط رئيسية وفرعية ، بحيث تبسط قواتها على المنطقة كلها بسطاً كاملاً ، وفي وقت واحد تقريباً .

وسارت الجيوش ،واتخذ أهمها الطرق التالية :

١ ـ الطريق الساحلي من بنغازي إلى طرابلس :

٢ ـ طريق «ودان»

٣ ـ طريق «صبراتة»

٤ ـ الطريق الصحراوي

بالإضافة إلى كتائب أخرى كانت تنفصل لتؤدي المهمة التي أرسلت من أجلها ثم تعود ، على أن تجتمع كلها حول طرابلس ، بعد أن تثبت أقدامها في المناطق التي ذهبت إليها .



فتح طرابلس

سار عمرو بن العاص لفتح «طرابلس» متخذاً الخط الساحلي طريقاً إليها .

وقد أفاده إلمامه بخريطة ليبيا ، بالإضافة إلى المعلومات التي زوده بها رجال الرحلة الاستطلاعية والتي كان قد أرسلها إلى ليبيا قبل دخوله إليها :

فعرف الأماكن الآهلة بالسكان ، والحصون والمعسكرات والقلاع وأعداد الجند هذا إلى أن عمراً كان يعرف من فتوحاته لمصر والشام عن عن أعدائه الروم البيزنطيين الكثير والكثير . . لقد خبرهم ، عرف قوتهم في معارك الماضي ، فعرف عنهم ما لديهم من خبرة ، وحيلة ، وسلاح وعتاد .

واستهان «عمرو» بمن سيواجههم وهو في طريقه لفتح «طرابلس» وركز جل اهتمامه لحماية «عقبة» لمنع أي إمداد عسكري من المناطق الساحلية للمناطق الصحراوية .

ونجح «عمرو» كما نجح «عقبة» في تعويق تبادل المساعدات بين الداخل والساحل .

وكانت الكتائب تضرب ضرباتها ، وتعود إلى الانضمام تحت لوائها وقد أدت دورها على أكمل وجه ، مما أنهك الأعداء ، وأشاع الرعب في قلوبهم .

وكانت أول منطقة عسكرية دخلها «عمرو» هي «سرت» ولم يجد صعوبة في دخولها ، وتابع حملته إلى «لبدة» ولم تصمد أمامه . . ثم اتجه إلى «طرابلس» فوقف أمام أسوار عالية ، وقلاع ضخمة . . ورأى ميناء محصناً ومسلحاً بأسلحة رومية ، ولما رآه جنود الروم أغلقوه ، ووقفوا على الأسوار يحمون المدينة ، ويرقبون البحر منتظرين المدد والعون من عاصمة الروم ، وانقضت أسابيع وأسابيع ولم يأت المدد ، فضاقت نفوسهم ، وأصابهم الهلع .

ودار «عمرو» حول أطراف المدينة فرآها مسورة من ثلاثة أطراف . أما الطرف الرابع فكان مطلاً على البحر ملتصقاً به ، فنزل عند القبة المشرفة على الطرف الشرقي سنة ٦٤٣م وحاصرها شهرين ، ومن هناك أرسل ـ كعادته ـ الكتائب تحتل المناطق المحيطة بطرابلس ، ويجلى عنها الروم .

وبقيت أسوار المدينة مقفولة حتى خرج رجل من بني مدلج يتصيد في سبعة نفر ، وسلكوا طريقاً قرب المدينة ، فلما رجعوا اشتد الحر عليهم فأخذوا جانب البحر ، ولم

يكن السور متصلاً بالبحر ، وكانت سفن الروم في مرساها مقابل بيوتهم ، فرأى المدلجي وأصحابه مسلكا بين البحر والبلد ، فدخلوا منه وكبروا فلم يكن للروم ملجأ إلا سفنهم . لأنهم ظنوا أن المسلمين قد دخلوا البلد ، ونظر عمرو ومن معه فرأى السيوف في المدينة ، وسمع التكبير وقد اختلط بالصياح فأقبل بجيشه حتى دخل عليهم البلد ، فهرب الروم ، ولم يأخذوا معهم في سفنهم إلا ما خف حمله .

الحملة على «وران»

تُركت قوة من الجيش الاسلامي مهمتها مساعدة تحرير الساحل لفتح بعض المناطق الداخلية . وكانت بقيادة «بسر بن أرطاة» واتجهت لفتح «وران» و «جبل نفوسة سنة ٦٤٣م . وكان يتبعها مرزق وهون وسوكنة وما جاورها ، وكانت «وران» زمن الفتح الاسلامي هي العاصمة لهذه المنطقة وقد فتحها «بسر» وعقد مع أهلها معاهدة سلمية أعلنوا فيها الاسلام غير أن أهل «وران» ارتدوا بعد عودة «بسر» وظلوا على ارتدادهم حتى وصول «عقبة»إليهم سنة ٦٦٩م زمن معاوية بن أبي سفيان حيث فتحها ، ورد أهلها إلى الاسلام

وكان هدف هذه الحملة ربط حملة «عمرو» لفتح «طرابلس» بحملة «عقبة» لفتح مناطق «فزان»

فتح صبراته

سمع أهالي «صبراته» بحصار «طرابلس» عدة أسابيع ، فأخذهم الغرور وقالوا : لسنا نخاف المسلمين الذين تعذر عليهم فتح «طرابلس» إن قواتنا أكبر وأقدر من حامية «طرابلس» ولا داعي لغلق أبواب المدينة . ففتحوا أبوابها ، وذهبوا إلى أعمالهم .

وكما سبق أن ذكرنا أن «طرابلس» فتحت فجأة ، فاستغل «عمرو» الفرصة وأعد جيشاً بقيادة «عبد الله بن الزبير» وأرسله إلى «صبراته» سرا في ظلام الليل ، حتى يسمع أهل «صبراته» بخبر فتح «طرابلس» فدخلها الجيش الاسلامي سراً وفتحها ، وقاتل كل من أعترضه ، أو قاومه . . واستسلمت المدينة في وقت قصير . وبأقل الخسائر ، وهرب أغلب السكان بسفنهم إلى جزيرة «صقلية» وزف «عبد الله بن الزبير» بشائر النصر إلى «عمرو» في «طرابلس» ثم توجه الجيش الاسلامي بعد فتح «صبراته» إلى مدينة بشروس في جبل «نفوسة» وبالرغم من أن «بشروس» تضم ثلاثمائة قرية ، وتعتبر من المدن الكبيرة في ليبيا إلا أنها لم

تقف طويلا أمـام الجيش الاسلامـي ، فاستسلمت وخضعت ، ودخل أهلها الاسلام .

من نصر إلى نصر

نأتي إلى الحديث عما قام به «عقبة» في مسيرته التي اختطها «عمرو» في مجلسه العسكري : فقد سار «عقبة» أمام الجيش لينزل في «هوارة» ورفق بكثير من مراكز العمران الداخلية ، حيث الواحات ، ومنابع الآبار وكثبان الرمال والتقى بقبائل «لوارنة» وهوارة ، وعسكر بالقرب من قبيلة «جرمة» ذات الشهرة الواسعة ، والصيت الكبير في صراعها البطولي ضد الرومان .

وتنبسط الصحراء أمام «عقبة» وتنساب أمامه الرمال والدروب ، فيتابع المسيرة حتى «فزان» ، ثم «وران» ويحرز نصراً رائعاً يتلوه نصر أكثر روعة .

فما كان «عقبة» يعول على السيف وحده ، ولكنه اعتمد على مبادىء الإصلاح يغزو بها النفوس ، ويؤسس بها لدولة المسلمين ، فمن وادعوه وسالموه ألزمهم بالصدقات يأخذها من الأغنياء ، ويردها على الفقراء ، ومن عاده

وحاربوه ، وانتصر عليهم ، دفعوا ثمن عدوانهم وهم كارهون .

تقدم جيش «عقبة» الظافر ، وتوغل في أعماق الصحراء ، وتلفت هنا وهناك فإذا براية الإسلام ترتفع في عزة ، تحملها سواعد قوية لفتية ورجال بعضهم من العرب الفارين إلى ليبيا ، وبعضهم من العرب القاطنين في ليبيا ، يضربون الأرض في قوة وثبات حتى دق الجيش الإسلامي أبواب «زويلة» .

وكان عمرو ـ كما أسلفنا ذكره ـ قد نجح في اقتحام «طرابلس» فهرب من فيها من الروم إلى سفنهم التي أقلتهم إلى أوروبا ، وأنقذتهم من موت محقق .

عقبة بن نافع رجل الحرب والسلام

وبينما الأحداث تتابع وتتلاحق على الساحل . . وفي كل مكان .

كان «عقبة» يجوب بلاد الداخل صاعداً مرة ، ومنحدراً أخرى ، يشد اهتمام من فيها من القبائل الضاربة في الصحاري ، ويصم آذانها عن هذه الاستغاثات المتوالية من الروم ، ولم يستقر به المقام ، ولم يهدأ له قرار ، حتى جاءته البشرى من بلاد الساحل .

الآن تستطيع يا «عقبة» أن تعود إلى «برقة» فإن المسلمين الآن يقتحمون أسوار «طرابلس» ويرددون الله أكبر . . . الله أكبر . ويسمعها الروم فيرتاعون ويتصايحون : الفرار . . الفرار .

ها هي ذي سفنهم تسرع بهم ، والموت يلاحقهم ، والبحر يرغي بهم ويزبد وكأن أفواه المنايا توشك أن تطبق عليهم من كل جانب .

وعاد «ابن العاص» إلى «بنغازي» وصالح أهلها على ثلاثة آلاف دينار يؤدونها كل عام للمسلمين .

وعلى أبواب مدينة «بنغازي» تقابل بطل الساحل «عمرو» وبطل الداخل «عقبة» فتعانقا عناقاً حاراً ، وحمد الله على هذا النصر العظيم .

نشر الإسلام

عندما استولى «عمرو» على مدينة «بشروس» اتجهت انظاره الى مواصلة الفتح وأخذ يفكر في فتح تونس ، والجزائر ، والمغرب . وشجعه على ذلك أنباء انتصارات «عقبة» السابقة ، فاستبشر بها أيما استبشار . وكتب الى

الخليفة عمر بن الخطاب يستأذنه في مواصلة الفتح ، ويرسل له الامدادات التي تعينه في الحملات التي ينوي شنها على أعداء المسلمين ، لتخليص باقي مناطق افريقيا منهم .

وكتب :

بسم الله الرحمن الرحيم . أما بعد فإن الله نصرنا في حملاتنا التي قمنا بها في ليبيا ولم يبق بيننا وبين تونس إلا مسافة قصيرة تقدر بمسيرة تسعة أيام ، فإن رأى خليفة المسلمين أن ندرك حصونها ، ونطرد أعداءنا منها فعلنا ، والله يثبت أقدامنا لنشر دينه .

وقال عمرو :

إن أنباء زودني بها رجالي المختصون : أن «قابس» وغيرها وهي لا تبعد كثيراً عن «طرابلس» مكتظة بجيش الروم والأفارقة المؤ يدين لهم ، وأنهم يتربصون بنا ، ويتحينون الفرص للانقضاض علينا . إن ليبيا التي تم فتحها واسعة جداً ، وتحتاج الى اليقظة التامة ، والمتابعة الدائمة ، والتحركات السريعة للقضاء على كل من تسول له نفسه الاعتداء عليها كما أن جيش المسلمين الذي استولى على ليبيا واجهته متاعب شديدة ، فتعرض للحر والبرد والعطش ،

وصعود الجبال ، والسير في الرمال ، وبعضهم جرح ، وبعضهم مرض ، الى غير ذلك مما واجه وتحمل .

ولولا ذلك لما ترددت في تخطي «صبراته» والانقضاض بكل جرأة على الأعداء المتربصين بنا ، ولكان كتابي هذا يبشرك ببشائر النصر ، ويقرأ على المسلمين في المساجد بعد كل صلاة .

ولكن «عمرو» أبى أن يمده ، ورفض أن يسمح له بالتغلغل في افريقيا وقال في رده : «لا يغزو باقي بلاد المغرب في إفريقيا أحد ما بقيت ، ولا أوجه إليها أحدا ما حييت»

إن المرء ليعجب من رفض الخليفة عمر لمواصلة الفتوحات الاسلامية ، ومطاردة الأعداء في أقطار المغرب العربي في تونس وغيرها ، وبخاصة إذا علمنا أن الروم يعدون العدة ويركزون جهودهم ، ويتحصنون في حصونهم ، ويملئون معسكراتهم القريبة والبعيدة من جند المسلمين ، في قابس ، والملوي(١) ، وفزان ، وأم العرائس ، وإسفافس وقفصة وغيرها من المعسكرات التى كانت محصنة ومجهزة تجهيزاً كاملاً .

إن الخليفة «عمر» يعلم الكثير والكثير عن الروم في شرق الدولة الاسلامية وغربها إنه يعرف حق المعرفة أنـه لا يقـر للروم قرار حتى ينتقموا ، ولئن غادر فريق منهم إلى روما وفريق الى مدن الساحل الافريقي . فلا بد أن يعود هؤلاء وهؤلاء ، ليهاجموا الدولة الاسلامية الناشئة ، بل إن طائفة من الأفارقة المؤيدة لهم سوف تظل على صلة وثيقة بهـم ، تنتظر عودتهـم ، ليعـود سلطانهـم المسلـوب ، ويصبحـوا أصحاب الثراء كما كانوا في عهد الرومان ، وإن كان ذلك على حساب إخوانهم ، فكيف يغامر الخليفة بحياة الآلاف من المسلمين ، وهم بعيدون لا يسعفهم المدد ، وعدوهـم منهـم قريب ، ولـه أنصـار يساندونـه داخـل إفـريقيا وخارجها .

ولعل للخليفة «عمر» العذر في رفضه مواصلة الفتح :

فجنود المسلمين قد طال بهم البعد عن أهلهم وذويهم ، ومجاهل إفريقيا صعبـة ومخيفـة ورسلـه الـذين بعـث بهـم للاستطلاع أكدوا له ضرورة التوقف ، وهذا هو المتوقع .

وقد قال قولته المشهـورة : «افـريقيا المفرقـة» وطلـب في رسالته من عمرو أن يعود إلى مصر وفي ليلة من الليالي دعا «عمرو بن العاص» «عقبة» وهمس في أذنه قائلا له :

«يا عقبة . لقد علمت رأي الخليفة عمر بن الخطاب ، إني راحل غداً إلى مصر ، وأنت القائد هنا فإليك ـ بعد الله ـ يرجع ما نلنا من انتصارات ، ولو خيرت «برقة» صحاريها ، ومدنها ، خارجها ، وداخلها ، ما اختارت غيرك ، ثم أعلن ذلك على جميع المسلمين ، فحزم أمتعته فريق ، وفضل البقاء مع «عقبة» فريق .

وفي صبيحة يوم بعد صلاة الفجر ، وعند تنفس الصباح يغادر «عمرو بن العاص» ومن معه « برقة» ، ويسير «عقبة» خطوات يودع الراحلين ثم يقف ، يلوح بيده : صحبتكم السلامة يا معاشر المجاهدين .

ثم يلتفت «عمرو» فيشاهد «عقبة» فيقول له : سلام عليك يا رجل الحرب والدين .

وهكذا رحل «عمرو» تاركاً «عقبة» نائباً عنه في تسيير الحملات ، وتثبيت دعائم المسلمين في ليبيا ، ونشر الاسلام في ربوعها ، للانطلاق منها إلى تحرير باقي المناطق في شمال إفريقيا من حكم الروم وسيطرتهم واستبدادهم .

وما إن ودع «عقبة» جيش المسلمين حتى أخذ يدقق النظر في جيشه فوجده قليل العدد والعدة ، فيقول في نفسه : «لا تقاس قوة الجيوش بعددها أو بعتادها ، وإنما تقاس بقوة

العقيدة ، وقوة الروح .

وإذا كانت هناك جيوش في الدنيا قاتلت وانتصرت اعتماداً على هاتين القوتين . فانما هي جيوش العرب المسلمين .

الشعب المسلح

وإذا استعرضنا حروب المسلمين منذ ظهور الدولة الاسلامية إلى الآن تبين لنا أن أعداد المسلمين في معاركهم يتراوح بين واحد إلى خمسة من أعدائهم ، وربما واحد إلى عشرة ، وقد حقق المسلمون انتصاراتهم في معاركهم جميعا ، وحطموا موازين القوى ، وجعلوها لصالحهم بفضل قوة إيمانهم ، وقوة روحهم المعنوية العالية . . .

وكانت قوة الروح المعنوية القتالية عند العرب المسلمين تستمد قوتها من روافد شتى .

١ ـ الإيمان بالله ، والثقة في نصره ، وبأن لكل أجل كتابا لا يتعداه

٢ ـ الإيمان بالهدف ، والاستعداد للتضحية حتى بلوغه ، واحتمال الصعاب والمشاق لنيل إحدى الحسنيين : النصر . أو الشهادة .

٣ ـ الإيمان بأخوة السلاح ، وأخوة الاسلام في الجهاد ، وهو ما يصوره الرسول عليه السلام في حديثه : «المسلمون

تتكافأ دماؤهم ، ويسعى بذمتهم أدناهم ، وهم يد على من سواهم»

٤ ـ الإيمان بضرورة الانقياد للقائد ، والثقة به دون حدود سوى طاعة الله : «أطيعوا الله ، وأطيعوا الرسول ، وأولى الأمر منكم» .

أخذ «عقية» يستعرض في ذهنه قلة عدد الجيوش الاسلامية في مواقع اليرموك ، والقادسية ، ونهاوند ، ومعارك الجهاد في ليبيا وغيرها من المواقع التي انتصر فيها المسلمون على أعدائهم . لقد كانت الروح المعنوية العالية للمسلمين في نظر «عقبة» أول عدتهم في الحرب ، بالاضافة إلى اللياقة البدنية العالية ، والقدرة على تحمل الصعاب .

إذن لم تكن قوة العرب المسلمين العددية قادرة على احتمال أعباء نشر الرسالة ، وممارسة الفتوح بالاعتماد على جزء نشط من هذه القوة ، بل باشتراك جميع المسلمين مهما قل أو كثر عددهم في معارك الجهاد ، وهو ما يعرف بالشعب المسلح .

وهذا ما يميز حروب العرب المسلمين عن غيرهم .

فإذا انتقلنا إلى «عقبة» وجيش المسلمين في المغرب العربي ظهرت الحاجة لتطبيق هذا المبدأ بوضوح أكثر ، ذلك أن هذا الجيش الذي لم يتجاوز في بدايةعملياته قوةعشرةآلاف

مجاهد ، كان مكلفاً لمجابهة قوى وصلت في بعض المعـارك إلى ١٢٠ ألفا وكان من الطبيعي الاستفادة من كامل القوة ، والزج بها في المعارك دون استثناء أحد منها ، ورغم تطبيق قاعدة العرب المسلمين لمبدأ الشعب المسلـح ، فقـد بقيت قاعدتهم في حاجة للدعـم ، وكان هذا الدعـم متمثـلا في الاستمـرار بالتوسـع في نشر راية الاسـلام خفاقــة في كل مكان ، لأن الاسلام جاء للناس كافة ، وفرض الجهاد على المسلمين كافة وما تطبيق مبدأ الشعـب المسلـح على مسرح عمليات المغرب العربي ، وما أمكن الوصول إليه من نتائج إلا عمل من إبـداع «عقبـة» وثمـرة لما بذلـه من جهـد هو وصحابته والمسلمون جميعاً دون استثناء .

فقـد كان المثـل الأعلى الـذي ضربـه «عقبـة» بنفســه ، وما بذله الصحابة والمسلمـون من جهـود لتعـريف النـاس بحقيقة الـدين الاسلامـي هو الأسـاس الـذي حقـق تلك المنجزات الضخمة ، والفتوحات الكبرى ، وأرسى القواعد الثابتة للبناء الراسخ ، بناء صرح الاسلام .

وسنتابع فتوح هذا القائد العربي «عقبة» في المغرب العربي ، وما حققه من انتصارات وما أنجزه من أعمال .

انجازات عقبة وفتوحه

بعد أن ودع «عقبة» عمروبن العاص ، بقي في بنغازي ، يعاني الوحشة والغربة ، ويكابد آلام الفراق ، ويحس كأنه تحت عبء حمل ثقيل ، عبء الأمانة التي ألقاها الزمان على كاهله بضع سنين .

واستسلم عقبة لأفكار وأوهام ، وسيطرت عليه هموم . فقال :

ماذا يصنع وقد أصبح الحارس الأمين لدولة ناشئة دخلت حوزة الإسلام ، ورفرفت على رباها ألوية المسلمين .

وكان نشر الدعوة الإسلامية كما سبق أن ذكرنا شغل «عقبة» الشاغل :

يجلس في برقة يوماً ، ويغادرها إلى البوادي والواحات أياماً ، يلتقي برجال القبائل هنا في المدينة ، أو هناك في الصحاري ، حيث مضارب الخيام ، ومنابع الماء ، فيدعوهم إلى الإسلام ، فيستجيبون ، وينصتون ، ويعلمهم شعائر الدين فيتعلمون ، ويظل على تلك الحال ساعات من نهار ، وجزءاً من الليل . وكان أحب ما لديه هذه الآونة التي يؤمن فيها فريق ، فينطق بالشهادة ، ويدخل في دين الله .

أنس إلى برقة ، وأنست به ، وزالت عنه وحشة الغربة ، فأينما اتجه وجد أصدقاءه وإخوانه وأتباعه يرحبون به إذا قدم إليهم ، ويتلقون بالطاعة ما يفرض عليهم من صدقة أو أموال ، ولشد ما كانت دهشة «عقبة» ودهشة رجاله الذين كانوا معه عندما كانوا يشاهدون جماعات تدور في شوارع المدينة ، تهلل وتكبر ، تحمل الأموال ، وتسوق أمامها الأبقار ، ويتساءل الجميع أول الأمر : من هؤلاء ؟ فيكون الجواب جماعات السكان الذين لم يعلنوا إسلامهم تتوافد على المدينة ، ومعها ما يريد «عقبة» من الصدقات والأموال ، يقدمونها بأنفسهم ولا ينتظرون من يأتي أليهم ، ليأخذها منهم .

وقال قائل لعقبة : لقد أحبك الناس ، ودانوا لك بالطاعة والولاء .

فرد عليهم عقبة : ذلك هو الإيمان يهدي به الله من يشاء .

هكذا كان «عقبة» يتجول في أنحاء إقليم «برقة» ويتنقل من واد إلى واد ، ومن جبل إلى جبل ، ومن ينبوع ماء إلى غيره . أما في إقليم طرابلس فيختلف الأمر :

فقد عاد سكان طرابلس وصبراته وما جاورهما إلى

العصيان والردة ، بعد مقتل خليفة المسلمين «عمر بن الخطاب» كما عاد إليها الروم من جديد ، ونقضوا صلحهم مع المسلمين وتقربوا إلى أهل البلاد ، وأغروهم على الخروج من الدين الإسلامي ، والعودة إلى الكفر وقد سمع «عقبة» بعودة الروم إلى احتلال «طرابلس» والتنكيل بمن أسلم من أهلها إلا أنه لم يستطع أن يطرد الروم منها ، لأن المسلمين كانوا في المدينة ، والشام والعراق ومصر ، وفي كل مكان في شغل شاغل بما أصابهم .

وطرد الروم يحتاج إلى جيوش ، وخليفة للمسلمين ينسق الخطط مع قادته ويعد العدة اللازمة للنصر ، والفوز في المعارك ، لذلك تريث «عقبة» ولم يهاجم الروم في «طرابلس» وبعض الأطراف القريبة منها .

وصبر حتى هدأت العاصفة بتولي الخلافة «عثمان بن عفان» رضي الله عنه ورأى الخليفة الجديد بعد سنتين من خلافته أن يعزل «ابن العاص» من ولاية مصر ، فكان لهذا الخبر وقع الصاعقة على «عقبة» فقد كان يتوقع كل عام من الأعوام الخمسة أو الستة السابقة زحفاً جديداً . يتحرك من مصر بقيادة ابن العاص ، ليؤدب المرتدين في طرابلس ، وليدق أبواب باقي مناطق المغرب العربي من جديد .

أمل يتجدد

لكن هذا الأمل قد تبدد بعزل «ابن العـاص» . فلما كان «عقبة» يظن أن والي مصر الجديد «عبد الله بن أبي سرح» يفكر في حمـاية «برقـة» . أو دق أبـواب تونس ، والجزائـر وغيرها . .

وحدث ما لم يكن في الحسبان : فقد تطلع «عبد الله بن أبي سرح» إلى إفريقيا وأخذ يمهد لغزو جديد .

لذلك ما إن نجح هو ومعـه «عقبـة» في طرد الـروم من طرابلس ، بعد أن نقضوا عهدهم ، حتى كتب إلى الخليفة «عثمان» بانتصاراته ، ويستأذنه في مواصلة الفتح ويستحثه على مده بالجند والعتاد .

سر الخليفة «عثمان» بانتصارات المسلمـين في طرابلس ، وعـرض أمـر مواصلـة الفتـح الإسلامـي في افـريقيا على الصحابة ، وقد وافق أكثرهـم .

حملة العبادلة

أخذ المسلمون يتطوعـون في الجهـاد ، واشتـرك في هذه الحملة عدد كبير من الصحابة والتابعين ، وساروا بعـد أن خطب فيهم عثمان . قائلا لهـم :

«لقد عينت عليكم الحارث بن الحكم قائداً إلى أن تصلوا إلى عبد الله بن أبي سرح» فتكون القيادة إليه ، وأستودعكم الله .

ولما وصل الجيش إلى مصر في سنة ٦٤٧ وجد في استقباله «ابن أبي سرح» وعدداً كبيراً من الجنود ، بلغ به الجيش المتطوع لفتح المغرب العربي عشرين ألفا .

وسميت هذه الحملة بحملة «العبادلة» فقد اشترك فيها سبعة من الصحابة كل واحد منهم ، اسمه عبد الله .

١ ـ عبد الله بن العباس ٢ ـ عبد الله بن عمرو ٣ ـ عبد الله بن الزبير ٤ ـ عبد الله بن عمر ٥ ـ عبد الله بن مسعود ٦ ـ عبد الله بن جعفر ٧ ـ عبد الله بن أبي سرح الذي خرج في مقدمة الجيش .

بنغازي تستقبل الفاتحين

ولما وصل خبر مقدم الجيش الإسلامي إلى «برقة» فرح به رجال «عقبة» وفرح به المسلمون من سكانها ، وتهيأ الجميع ، وخرجوا من مدينة «بنغازي» وصعدوا فوق الروابي يتلهفون شوقاً للجموع الزاحفة ثم تصايح الناس ، وكبروا : ها هم أولاء قد حضروا . . أهلا أهلا بالمجاهدين في سبيل الله .

وكان التعب قد استبد بهم ، ومشقات الرحلة الطويلة قد نالت منهم فحطوا الرحال ، وسرحوا الخيل والجمال ، وقدم لهم سكان «بنغازي» الكلأ والماء .

والتف كبار القادة حول «عقبة» يستفتون في أمثل الطرق لخوض المعارك ، ويسألون عن طباع الروم ، ومن والاهم من الأفارقة و «عقبة» يخطط لهم ، ويبرز الفروق بين طبيعة الحروب في السواحل وبين الحروب في الصحاري .

الجيش يستعد

أخذ الجيش سلاحه ، واستعد للحرب ، واتخذ طريقه نحو الغرب ، ورأى فريق أن يظل «عقبة» في «برقة» يعد لهم المدد ، ويرسل إليهم بالزاد ، فأبى قائد الحملة «عبد الله بن سعد بن أبي سرحان» ورأى أن يكون «عقبة» مرشد الجيش ، وأن يكون رجاله في طليعة المعارك ، وكان هذا الرأي أحب إلى «عقبة» ، فقد تلهف شوقاً إلى المعارك ، فإن كتبت له الشهادة فاز بالرضوان ، وإن كان النصر المؤزر فقد انتقم لنفسه ، وسكان المنطقة وبخاصة المسلمين .

ورأى «عبد الله بن سعد» أن يوحد الجيوش ، فأبى «عقبة» وقال ،

«في الروم ومن والاهم من سكان البلاد غدر كبير ، وبين الفريقين معاهدات ، وأخشى أن يتقدم الجيش ، ويوغل في طريقه إلى المغرب ، فينقض عليه من الخلف أحلاف الروم والرأي أن نبث السرايا في كل ناحية لنؤمن طريق الجيش ، ثم نزحف بالقوى العظمى لنقاتل طاغيتهم [جرجور] .

واتجهت الحملة إلى «طرابلس» منتصرة على كل من يقاومها من الأعداء ، ثم وجدت الروم ومن والاهم متحصنين بأسوارها ، ووجدت أهلها مرتدين عن الإسلام .

لم ينتظر الجيش الإسلامي في طرابلس ، بل غادرها ليلحق [بجرجور] الذي كان قد احتل قفصة وفتن أهلها عن دينهم .

ودخل المسلمون تونس ، وكانت عاصمتها آنئذ «قرطاجنة» وفي بلدة «قابس» وجدوا الروم قد تحصنوا داخل أسوارهم فلم يحاصرها «عبد الله بن سعد» طويلاً ، وتركها وأخذ يحتل المعسكرات الصغيرة .

وقرب بلدة «سبيطلة» خرج إليه [جرجور] بجيش يبلغ عدد جنوده ١٢٠ ألف مقاتل والتقى الجيشان قرب العاصمة ، وأحس «عبد الله» بقلة عدد جيشه أمام جيش

العدو وأخذ يفكر في هذا الأمر .

وفي لحظة غير متوقعة جاءه رجل أرسله قائد الروم يعرض عليه مبلغاً كبيراً من المال على أن يرحل من بلادهم ، ويعود إلى ليبيا ، فانتهز «عبد الله» الفرصة وأوقف الحرب وعاد إلى مصر .

ولما بلغ «عبد الله بن سعد» أن [جريجور] نقض العهد لم يرض ، وأعد جيشاً قوياً سار به إلى تونس ، وصمم هذه المرة على هزيمة [جريجور] .

وفي «طرابلس» بقي جيش المسلمين ينتظر رجال المخابرات العسكرية الذين أرسلهم قائد الحملة «عبد الله بن سعد» لمعرفة أسرار الجيش الرومي وقوة [جريجور] ولما عادوا أخبروه أن جيش الروم يفوقهم عددا وعدة ، ولا يفوقهم رغبة واندفاعاً في سبيل إعلاء كلمة الله وفي بلدة «قفصة» التقى الجيشان في معركة اشتد فيها القتال ، واستمرت أياما : تبدأ بعد صلاة الصبح ، وتتوقف عند الظهر . واشتدت المعارك ، واشتدت عندما قال : «عبد الله» :

أعلموا يا معشر المسلمين أن [جريجور] وعد جنوده بأن من يقتلني سيعطيه مائة ألف دينار ويزوجه ابنته ، وإني

أعلمكم أن من يقتل قائد الروم هذا له مني ألف دينار ، وأزوجه ابنته وأعينه واليا على «قرطاجنة» مكانه ، وسمع [جرجيور] بما قاله «عبد الله» فهرب ، واختفى عن الأنظار .

واستمرت المعركة ، استمرت في ضراوة ، ولم يعجب استمرارها «عبد الله بن الزبير» لأنه رأى أن الأيام تمضي ، والمسلمون ينقص عددهم دون أن يحرزوا نجاحاً ، فأعد خطة وافق عليها القواد : تقضي بأن يقسم المسلمون كتيبتين ، تبدأ الأولى بعد صلاة الصبح وتبقى الثانية مختفية مستريحة ، حتى إذا جاء وقت الظهيرة ، وتوقف الطرفان فاجأتهم بضربة قوية .

وتسلم «عبد الله بن أبي سرح» قيادة كتيبة الصباح ، و «ابن الزبير» قيادة كتيبة الظهيرة ، وأدى الجنود في الصباح واجبهم خير أداء ، حتى إذا أذن الظهر ، وتوقف الروم ينشدون الراحة ، حمل عليهم «ابن الزبير» حملة مباغتة ، أطارت صوابهم ، فهربوا تاركين سلاحهم ، ولما وصلت بشائر نجاح الخطة إلى الكتيبة الأولى نسي رجالها تعبهم فهجموا يلاحقون العدو ، وتبع «ابن الزبير» [جرجيور] إلى أن ظفر به ، وقتله ، ونصبه على رأس رمحه .

وبذلك انتصر المسلمون انتصاراً رائعاً ، وانهزم الروم ومن والاهم هزيمة منكرة . ونفى «ابن الزبير» أنه قتل [جرجيجور] ولكن ابنة [جرجيجور] أشارت إلى أنه هو الذي قتل أباها ، فسأله «عبد الله بن أبي سرح» معاتباً : لم كتمتنا يابن الزبير قتلك [جرجيجور] فأجابه : «قد علمه الله الذي قتله» وأراد «ابن أبي سرح» أن يعطي ابنة [جرجيجور] لابن «الزبير» ، لكنه رفض ، وأرسله - على الفور - إلى «عثمان» يحمل له بشائر فتح مدينة «تونس» .

وكان «عثمان» قد انقطعت عنه أخبار حملة المسلمين في المغرب العربي فظل في شغل شاغل على أصحاب رسول الله ومن معهم من جند الإسلام ، وتذكر قول عمر بن الخطاب «أفريقيا لا يغزوها أحد ما حييت» ، وقال وكأنه يحدث نفسه :

«لقد أخطأت يا عثمان !! ماذا تقول لربك يوم القيامة عندما يسئلك لماذا عرضت حياة المسلمين للخطر ، وأوردتهم موارد التهلكة» .

ثم تتزاحم الأفكار عند الخليفة :

الطريق بيني وبين إفريقيا بعيد ، والسفر إليها طويل ، وبيني وبين المسلمين صحاري ، بيني وبينهم ماء ورمال ،

وأميال وأميال . فهل من خبر عن أبطالنا المجاهدين ، ما يدريني لعلهم أمام عدو عنيد يحتاجون إلى الإمداد ، فلا منقذ لهم ، ولا مغيث !!

بشائر النصر

وبينما كانت هذه الأفكار تتزاحم في رأس الخليفة (عثمان) دخل عليه «ابن الزبير» وأبشره بما جاء به ، ففرح الخليفة فرحاً شديداً ، وطلب من «ابن الزبير» أن يخبر الناس بما حققه المسلمون من نصر عظيم ، وأخذ بيده حتى انتهى به المنبر فحمد الله ، وقال : أيها الناس إن الله قد فتح عليكم أفريقية ، هذا «عبد الله بن الزبير» جاء ليبشركم بذلك ، ثم قال : اقصص عليهم ما أخبرتني .

أخذ «عبد الله» يبشر المسلمين ، والمسلمون يهللون ويكبرون : الله أكبر ألله أكبر .

وقدر الخليفة «عثمان» أن يستقدم الجيش المقاتل إلى الجزيرة العربية بعد أن تأكد له أن هذه الحملة حققت غرضها على أكمل وجه ، فقد تحقق لهم فيها النصر ، فأدبوا عدوهم ، وعلموه كيف يحترمهم ، وكتب الله لهم السلامة فعادوا إلى بلادهم سالمين .

وعاد «عبد الله بن أبي سرح» قائد جيش المسلمين من «سبيطلة» إلى مصر ولم يفقد من رجاله إلا ثلاثة آلاف مقاتل ، منهم «أبو ذؤ يب الهذلي» ودفن هناك وكان جيشه كله عشرين ألف مقاتل .

أما عقبة فقد ساير الجيش إلى أن وصل برقة ، فودعهم هو وجموعه ، وبقي في مكانه ، يؤدي مهمته التي كان يحملها ، وهي نشر الدين بين جموع السكان .

لم يطل الاستقرار الذي نعم به المسلمون بعد انتصاراتهم العظيمة ، في حملاتهم الموفقة التي شنوها على الروم ، ومن والاهم ، في القطر التونسي :

فقد قتل الخليفة «عثمان بن عفان» وأطلت الفتنة برأسها من جديد ، وأخذت تعصف بالعالم الإسلامي ، وعزل «ابن أبي سرح» عن ولاية مصر ، لأنه لم يؤيد عليا ولا معاوية ، ومن ذلك اليوم انقطع عن الناس ، وخرج من مصر قاصداً «زويلة» وقبل أن يصلها ، توفي رحمه الله ، وأقيم له ضريح في «أوجلة» .

عقبة يقف محايدا

ولم تعصف هذه الفتنة «بابن أبي سرح» وحده ، بل عصفت بكثيرين غيره . ولم ينج من ويلاتها إلا بعض الصحابة وبعض القادة الذين استطاعوا الارتفاع بأنفسهم عن مستوى العصبية الحزبية ، والسمو عن قضية الولاء الشخصي بعضهم باعتزال العمل السياسي ، والابتعاد عن مراكز القيادة ، وبعضهم بالالتزام بالقضية الأساسية : قضية نشر الاسلام ، والجهاد في سبيله وكان هؤلاء وأولئك نفرا من القلة ، وكان القائد «عقبة بن نافع» نموذجا رائعا لهم .

فقد استطاع «عقبة» رغم جميع العواصف التي إجتاحت العالم الاسلامي أن يحافظ على موقفه ، موجها وجهه نحو أعداء الاسلام ، تاركا ظهره لدولة المسلمين ، معرضا عن دنياهم ، عاملا من أجل مستقبلهم ، مؤمنا الحماية لهم . وقد يكون لوجوده في مجابهة أعداء المسلمين دور كبير في إدراكه للمسئولية الكبيرة الملقاة على عاتقه ، والتي حملته على الارتفاع عن مستوى الولاء الشخصي إلى مستوى الولاء للقضية .

وهكذا ظل «عقبة» على رأس حامية «برقة» رغم التغييرات التي تعرض لها القادة والحكام والـولاة ، وبقـي في مكانـه يستعان به ، ويشارك بمن معه في الحمـلات الكبـيرة التـي كانت توجه إلى تونس ، والسودان ، والنيجر ، وغيرها

وفي عام ٦٦١ م خمـدت نار الفتنـة قليلا ، واستقـر أمـر الدولة الاسلامية إلى حد ما بعد أن قتل «علي بن أبي طالب» وأصبح معاوية بن أبي سفيان» خليفة ، وعاد أبن العاص إلى مصر ، فتجدد أمله في استئناف الفتوح .

وكان هذا العتاب بين عمرو بن العاص وبين عقبة

- تتركني يا عقبة أخوض حربا ضد علي وأصحابه ، ولا أجدك بجواري

- أستطيع أن أستغفر من ذنبي ، فأكون تحت لوائك جنديا صغيرا ، يوم تعود لفتح أفريقيا

- لا يا عقبة . . بل جندي عظيم ، وكيف حال المغـرب العربي ؟

- ارتدت عن الاسلام ، ومنع أهلها الجزية ، هي الآن نار تضطرم !!

- قطع الله الفتنة ، لقد شغلتنا عن عمل مقدس ، وكيـف برقة ؟

ـ متمسكة بدينها ، تؤدي الصدقات، وتفي بما عليها من التزامات للمسلمين .

ـ وما شأن سكان الصحاري والواحات ؟

ـ ثبت فريق ، وكفر فريق .

ـ لماذا لا نحاول فتح شمال أفريقيا من جديد بقيادتك يا «عقبة» فأنت قائد خبير بطريق النصر .

التوغل في داخل البلاد

وفي سنة ٦٦١ م خرج جيش من «القسطاط» يقوده «عقبة بن نافع» وأوغل في المسير ، حتى انتهى إلى قبائل «كواته» التي كانت تسكن مناطق البريقة والعقيلة وبشر وبن جواد ، والمناطق المجاورة لها غربا ، ففتحها كلها دون مقاومة تذكر ، ثم جد الجيش في المسير إلى «غدامس» فغزاها ، واستولى على معسكراتها ، وما زال يغزو القبائل والبلدان الصغيرة والربوع والوديان ، حتى وصل إلى «فزان» و «ودان» وبلاد السودان فاستولى عليها ، ثم أخبر «عمرو بن العاص» ، وطلب منه المدد ، فأرسله له على عجل . ولا يزال عقبة يحارب ، ويفتح ، ويغزو ، ويدخل ، وعلى يديه أسلم الآلاف وتولى «معاوية بن حديج» ولاية مصر سنة ٦٦٧ . فلم يعزل عقبة ، بل أثبته

في مكانـــه ويروى أن «ابـــن جديح» غزا أفـــريقيا ثلاث غزوات . كان الظفر حليفها فيها كلها وكانت على التوالي ٦٥٤ ، ٦٦٠ ، ٦٦١

ففي الغزوة الاولى نزل «برقة» مثابة المسلمـين الأولى ، وتابع طريقه ، وعقبة معه يخطط له إلى «طرابلس» وكانـت تابعة للمسلمين ، ثم دخل تونس ، وانتصر في لقاءاته مع الروم ومن والاهم ، ثم اتخذ قيروانا له عند جبل القرن .

وفي الغزوة الثانية نزل بقرطاجنة [قرطاج] في تونس قائد رومي ، بعث «هرقل» ملك الروم إلى سكان البلاد يطلب منهم أموالا كثيرة ، عجزوا عن دفعها ، فما كان من خليفة [جريجور] إلا أن استنجد بمعاوية بن أبي سفيان ، فأرسل له جيشا بقيادة «معاوية بن جديح» وفي «قمونية» وهو المكان الذي بنى فيه «عقبة» القيروان - اشتبـك الجيشـان وانتصر المسلمون ، وهرب الروم ، وتحصنوا في «سوسـة» فعسـكر «ابن جديح» في جبل القرن ، وسير لها ثلاثة جيوش :

الأول : بقيادة عبد الله بن الزبير لمحاصرة سوسة

الثاني : بقيادة عبد الملك بن مروان لفتح جلولاء

الثالث : بقيادة رويفع بن ثابت لفتح جزيرة جربة

أما «ابن جديح» فقد سار بنفسه للاستيلاء على سبيطلة ،

فسبقت أخباره ، فتحصن أهلها ، وتعذر فتحها .

تعيين ابن حديج

والغزوة الثالثة كانت بقيادة عقبة بن نافع ، ومن برقة كانت الانطلاقة . لقد هب أهل برقة يؤ يدون عقبة . . وقالوا : نحن لا نرضى عنك بديلا . . أنت قائدنا ـ فرد عليهم عقبة : نحن جميعا في سبيل الله ، لا ينقص من شأن عقبة أن يكون في المقدمة أو لا يكون ، وإني لجد سعيد ما دام لواء الاسلام خفاقا ، فلنساند هذه اليد التي قرر الخليفة أن تحمل اللواء ، إنني ـ منذ الآن ـ جندي لواء «معاوية بن جديج» . فلنكن صفا واحدا ، ويد الله مع الجماعة .

وما هي إلا أيام ، حتى تراءى جيش معاوية بن جديج في مشارف برقة . فأسرع عقبة لاستقباله ، وأعلن الولاء له ، على أن يتابع المسيرة نحو باقي بلاد المغرب . لفتح مدينة بنزرت ، وقد صحبه في هذه الحملة ابن جديج الذي ركب البحر بعدها إلى «جربة» متجها إلى مصر ، تاركا وراءه «عقبة» في «برقة» يتلهف إلى عمل حاسم ، وفتح مبين .



خطط جديدة في المعارك

لقد أبقى معظم الولاة والقواد الذين أسندت إليهم مهمة الفتح الاسلامي في مصر والمغرب العربي على «عقبـة» في برقة ، ومع ذلك لم يعطوه الفرصة كي يوسع فتوحاته كما كان يريد . فصبر ، حتى واتته الفرصة ، فاغتنمها ، وذلك عندما عاد «عمرو بن العاص» إلى مصر وعندما قربه ابـن جديج ، وأتخذه مستشاره العسكري الخاص ، وعينه واليا على برقة والمغرب العربي ، بعد أن رجع إلى مصر ، فوطد عزمه على الفتح ، وأخذ يعد العدة لمواجهة أعوانه بكل جرأة وشجاعة .

وقد أعجب معاوية بن أبي سفيان خليفة المسلمين آنذاك أيما إعجاب بما قام به عقبة ، من حسن الاعداد ، والتخطيط العسكري السليم .

لذلك فقد أصدر أمره ، بأن يقود الفتوح «عقبة» رائد كل فتح ، وشد أزره بجيش عدته عشرة آلاف مقاتل ، كلهم من الفرسان ، جنود الشام ، وبه عدد كبير من كبار الصحابة ولم يكن أمر ولاية «عقبـة» هذه المرة صادرا من

مصر كما كان في الماضي ، ولكنه صادر من عاصمة الخلافة «دمشق» ومن الخليفة «معاوية بن أبي سفيان» القائد الذي حنكته التجارب واصطلى بنار الحرب ، فوضع عقبة حيث يجب أن يكون ، واختار له دوره المناسب ، ونسق معه سير الفتوح .

أحس «عقبة» بأن الفرصة سنحت له أكثر من ذي قبل في مد الفتوحات الاسلامية ، وتوسيعها في المغرب العربي ، وهي فرصة يجب أن يستغلها على أحسن وجه ، لأن في استغلالها ترسيخا لمبادئ الاسلام ، وامتداداً لرقعة أرض المسلمين .

فكم كان عقبة مسرورا بالقرار الذي أصدره «معاوية بن أبي سفيان» . . فقد كان واليا حينا ، وقائدا حينا على برقة وحدها ، أما الآن فقد أصبح واليا على ليبيا ، والمغرب العربي ، لا يأخذ التعليمات من والي مصر ، بل يأخذها من دار الخلافة نفسها .

إنها فرصة عظيمة ، سيكون لها ما بعدها ، فرصة رجل احتسب نفسه في سبيل الله .

حمل لواء الاسلام

التقى الجيش القادم من مشرق الدولة الاسلامية بالجيش المرابط في «برقة» وبرجال ليبيا الشجعان .

وأخذ عقبة يعد لحملاته الكبرى لمواصلة الفتح الاسلامي في أقطار المغرب العربي فرأى أن عليه قبل أن يتخطى حدود ليبيا غربا أن يلم شعث هذا البلد ، ويجول فيه بجيوشه ، ويهدئ ما ثار منه ، ويعيد ما سُلب .

وقد لاحظ :

١ ـ أن جيوش الأعداء متجمعة في السواحل بين سرت ، وقابس ، ففضل السير بين القبائل لابتعاد الروم عن الداخل .

٢ ـ أن سكان المغرب العربي باستثناء «برقة» كانوا يدخلون في الاسلام ، ثم يرتدون عن الاسلام عند غياب الحاكم العربي عنهم .

لذلك اشتد معهم ، حتى لا ينقضوا عهودهم مع المسلمين

٣ ـ اهتم «عقبة» بليبيا اهتماما بالغا ، وبخاصة في الداخل : فقوى جيشه ، وبنى الحصون المنيعة ، ورسخ عقيدة الايمان في أهلها .

وبذلك صارت ليبيا قاعدة صلبة ، انطلق منها عقبة إلى باقي مناطق المغرب العربي ، غير عابئ بقوة الروم ، ومن يؤ يدهم في فتوحاته التي ركزها على ثلاثة محاور

ا ـ الحملات على ليبيا ، والمناطق القريبة منها في تونس .

ب ـ الحملات العسكرية التي قادها في تونس ، وبعض مناطق الجزائر .

جـ ـ الحملات العسكرية التي قام بها في المناطق القريبة من مدينة القيروان بعد بنائها .

برقة القاعدة الأولى الأمينة للاسلام والمسلمين

بالجيش القادم من شرق الدولة الاسلامية ، وبالجيش المرابط في «برقة» وبرجال ليبيا الشجعان ، أصبحت قاعدة المسلمين في برقة قوية أمينة ، بحيث أصبح في استطاعة «عقبة» الاستناد إليها ، والاعتماد عليها في الانطلاق من مواقع الدفاع إلى مواقع الهجوم في في كل مكان .

وتقدمت المسيرة منطلقة ، حتى وصلت إلى القبائل في البريقة وبشر العقيله ، والمناطق القريبة منها غربا .

وكانت هذه القبائل وغيرها قد استجابت للاسلام ، ثم كفرت ، فحاربها «عقبة» فهربت إلى طرابلس» فطاردها ،

حتى هزمها ، فطلبت منه الصلح ، فرفض قائلا لهم :
«إنه ليس لشرك عهد عندنا ، إن الله عز وجل يقول في كتابه : «كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله»
أتفق معكم على أن تلبوا ما قرره الاسلام على من يؤمن بالاسلام ولم يدخل تحت حكمة»

وحمل بعد ذلك على قبائل هوارة ، وأحيانا يطلق عليها بزاته ، وكانت تقطن «سرت» ، «وأبو نجيم» ، و«لبيرات الحسون» ونا ورعاد ، ومصراته وزليطن ، ورفلة ، وترهونة ، مسلاته ، وقصر خيار ، وغيرها من المناطق الأخرى ، وانتصر «عقبة» عليها جميعا .

وفي سنة ٦٦٢ م توجه «عقبة» بحملته إلى «غدامس» وبدأها من «طرابلس» وفتحها ، كما فتح عدة مناطق في فزان ، والنيجر ، وتشاد ، والسودان وكان يطلق على هذه المناطق إكوار ، وخاوار ، وقصبة . . .

وفي عام ٦٦٦ خرج «عقبة» إلى بلدة تسمى «بقداش» لا تبعد كثيرا عن النوظتة من جهة الغرب .

وفي نفس السنة تتبع «عقبة» «ودان» التي نقضت عهدها لـ «بسر بن أرطاة» ورفضت ما كان فرض عليها .

وكان جيشه وقتئذ يطهر منطقة «سرت» فترك جيشه بـ «بقداش» واستخلف عليه «عمر بن علي القرشي» و«زهير بن قيس البلوي» وذهب «عقبة» إلى «ودان» وما حولها في أربعمائة فارس .

فلما وصلها أبى أهلها إلا العصيان ، فحاربهم . . حتى خضعت البلاد بلدا بلدا وقبض على ملكهم ، فقطع أذنه ، فقال : لم فعلت هذا بي ؟!! فقال «عقبة» : فعلت هذا بك أدبا لك ، حتى إذا مسست أذنك ذكرته ، فلا تحارب العرب ثم فرض عليهم ما فرضه «بسر بن أرطاة»

ولما استقر «عقبة» في بلاد «ودان» وما يتبعها : زلة وسوكتة وهون وغيرها سأل أهلها : هل من ورائكم من أحد ؟

فقيل له «جرمة» وهي عاصمة فزان في تاريخ الفتح الاسلامي ، وقطعت شوطا كبيرا من التقدم والرقي والحضارة في الأزمان الغابرة ، وقد زارها كثير من الرحالة والمؤرخين ، وأعجبوا أيما إعجاب .

سار «عقبة» إلى «جرمة» من «ودان» ووصلها بعد اسبوع ، وحين دنا منها ، دعا أهلها إلى الاسلام فأجابوا ، فنزل منها على بعد ستة أميال . وخرج ملكهم يريد «عقبة» ، فأرسل «عقبة» خيلا حالت بين ملكهم وبين

موكبه ، فأمشوه راجلا حتى أتى «عقبة» وقد نال منه التعب حتى أغمي عليه ، وخرج الدم من فمه ، ولما أفاق قال له : لم فعلت هذا بي ، وقد أتيتك طائعا ؟ فقال له «عقبة» أدبا لك إذا ذكرته لم تحارب العرب .

ومضى «عقبة» من فوره لمواصلة فتح «فزان» حتى أتى على آخرها ونشر الاسلام في ربوعها ، وسأل «عقبة» أهل «فزان» : هل من ورائكم من أحد ؟ فقالوا له : أهل «خاور» وهو قصر عظيم على رأس المفازة في وعورة، على رأس جبل ، وهو قصبة كاوار [مدينة] يتبعها عدة بلدان مثل مرزق ، وغاث ، والشاطئ وغيرها ، فلما وصل إليها «عقبة» دعا أهلها إلى الاسلام فأبوا ، واعتصموا بحصونهم ، فحاصرهم ، وأقام على حصارهم شهرا دون جدوى .

وتقدم بعد ذلك بجيشه جنوبا لفتح «بلاو» وانتصر عليها ، وقطع إصبع ملكها ، حتى لا يحارب المسلمين مرة أخرى .

ولما خضعت كل هذه المناطق في «فزان» سأل أهلها : هل من ورائكم من أحد ؟ فأجاب الدليل [الخبير بالمنطقة] ليس عندي بذلك معرفة ، فانصرف «عقبة» راجعا ، فمر بقصر

«خاور» وهو أكبر مدينة في ناحية كاوار ، وهي مناطق شاسعة ، وبها مدن كثيرة ، ومياه جارية ، ونخل كثير ، وقد تكون بعض هذه المناطق من فزان ، وتشاد ، والسودان ، والنيجر ، وغيرها . رفضت هذه المناطق الخضوع للمسلمين ، وتحصنوا في حصونهم ، ولم يحاول «عقبة» الهجوم عليهم ، ومضى بقواته ، حتى قطع في سيره ثلاثة أيام ، ونزل الجيش بمكان اسمه [ماء الفرس] ولم يكن به ماء ، فأصابهم عطش شديد ، ولكن رحمة الله قريب من المؤمنين : لقد عثروا على ماء قريب من سطح الأرض .

عندما رأوا فرس «عقبة» يمص الماء ، بعد أن حفر الأرض برجله الأمامية ولذا سمي هذا المكان [ماء الفرس]

رفض «عقبة» أن يعود و «قصر خاور» لم يفتح ، لذلك عاد إليه من غير طريقة التي جاء منها ، فلم يشعر أهله به حين وصل إليهم ليلا ، وأخضعهم ثم انصرف عنهم عائدا إلى معسكره الذي تركه بـ «وفمراس» منذ خمسة أشهر .

فتح غدامس

علم «عقبة» أن «غـدامس» قد تمـردت ، وخرجـت عن طاعة العرب المسلمين فاستراح قليلا ، وأعد جيشه إعدادا حسنا ، وسار إلى «غدامس» متفـاديا الطـريق السـاحلي ، متجها نحو المناطق التي تسكنها قبيلة «هوارة» ولها تحصينات كبيرة ، وقصور كثـيرة ، منهـا قصر «ميمـون» الـذي يقـع جنوب «طرابلس» ثم مضى سائرا في الطريق الواقعة جنوب جبل «نفوسه» إلى «صقرو» وهي مدينة في شمال المغرب ، فافتتح قلاعها وحصونها وقصورها ، والتقى برجال القبائل بها ، وعرض عليهم مبادىء الاسلام ، فأعلنوا اسلامهم ، وبنى لهم «عقبة» مسجدا ، وترك بينهم من يعلمهم شريعة الاسلام . ثم مضى إلى بعض المناطق الأخرى مثل [بياش] مشددا حصـاره على من تحصـن وامتنـع ، وفتـح كل هذه المناطق ، وصالح أهلها على الاسلام ، وأداء الصدقات ثم بعث خيلا إلى «غدامس» فاستعاد فتحها ، وتوجه بعد ذلك إلى «قفصـة» ثم «قسـطيلية» ثم «سبيطلـة» وفـرض عليهـا حصارا محكما ، وبعث برسالة إلى من وراء الأسوار :

«لا أريد منكم مالا ، ولن أهـدم عليكم حصنـا ، ولـو شئت فعلت ، ولكني أود أن تؤ منوا بالله ، وأن تعيشوا معنا

في سلام» فرفض من في الحصون ، فدك حصونهم ، وزلزل الأرض تحت أقدامهم ، وأرغم فريقا على التسليم ، وفريقا على الفرار واستمر «عقبة» في حملاته العسكرية على مواقع الـروم ، ومـن يقف معهـم ، حتـى وصـل إلى منطقـة «القيروان» .

الهدف يتحقق

انتهت الحملات العسكرية التي شنها الجيش الإسلامي على أعدائه ، والتي انطلقت من «بنغازي» وانتهت بالقيروان ، في طرق صحراوية شاقة بعيداً عن الطريق الساحلي السهل . وقد نجح «عقبة» نجاحاً كبيراً في هذه الحملات ، وحقق نصراً باهراً .

واستطاع بذلك أن يفتح ليبيا كلها ، وأجزاء كبيرة من تونس والجزائر ، كما أنه استطاع أيضاً أن يرهب العناصر المناوئة للمسلمين ، ويأمن هجماتها المباغتة ، وتمكن كذلك أن يدخل الإسلام ، ويثبته في عقول أبناء المغرب العربي ، وبخاصة رجال القبائل المقيمين في أعماق الصحراء ، حتى يكسب ودهم ، ويستفيد من قوتهم وأعدادهم ، ويدخل مابَعُدَ من أجزاء المغرب العربي ، وهو مطمئن إلى أن وراءه قاعدة عسكرية أمينة تحميه .

وليس هذا كل ما حققه «عقبة» من أهداف في حملاتـه ، بل لقد استطاع أن يضع حداً لكل من تسول له نفسـه أن يغدر بالعرب المسلمـين ، لأن سكان «أفـريقيا» كانـوا إذا دخـل إليهـم حاكم أطاعـوه ، وأظهـروا إسلامهـم ، فإذا غادرهم نقضوا عهدهم وكفروا بعد إسلامهم .

الإيمان يغمر القلوب

بعد أن وضع «عقبة» حداً للتذبذب الذي كان عليه سكان إفريقيا ، وقضى على جميع الفتـن ، والقـوى المناوئـة له ، أسلم على يديه خلق كثيرون وانتشر الإسلام بينهم ، حتى وصل إلى بلاد السودان .

وقد أعجب الأفارقة حملات «عقبة» الموفقـة ، وما حققـه فيها من انتصارات رائعة ، لكن ما أعجبهـم أكثـر ارتـداء «عقبة» ثياب الزاهدين : يلبس الخشـن من الثياب ويأكل القليل من الطعـام ، لا يطمـع في مال ، ولا يتطلـع إلى مصلحة شخصية ، يقضي معظم ليله في عبـادة الله ، فإذا غفت عيناه نام على الأرض ، فإذا أذّن المؤ ذن لصلاة الفجر نهض يلبي نداء السماء ، ثم امتطى صهوة جواده ، وسـار متابعاً طريق الجهاد ، فالتفّت حوله الأفئدة ، وفتح الله له

العقول والقلوب ، فغمرها بالإيمان وحمى أصحابها من قسوة الرومان .

الأحلاف العسكرية

بالانتصارات التي حققها الجيش الإسلامي أصبح المغرب العربي مفتوحاً أمام «عقبة» وذعر الروم ، وأدركوا من هو «عقبة» وما جيش المسلمين ؟!! فأخذوا يتألبون عليه ، ويعدون له العدة ، ويحسبون له ألف حساب .

وأول عمل قام به الروم تحالفهم مع أهل «بيزنطة» كما تحالفوا مع من في المغرب العربي من المؤيدين لهم ، وفي سبيل هذا الحلف خففت الضرائب ، وأسرع الروم في بناء الحصون ، وترميم القلاع التي دكت وهدمت ، واستعدوا مع حلفائهم لمعركة فاصلة لم يغب عن بال «عقبة» ما يبيته الروم وحلفاؤهم ، وأخذ يستعد لمواجهتهم وبدأ يفكر ويوازن بين جيشه الآن ، وبين ما كان عليه في الماضي ، وتبين له أن الأمر في غاية الخطورة ، لأن معظم جنوده كانوا يفدون إليه من الشرق يخرجون من الفسطاط بمصر أو من دمشق ، ودونهم آلاف الأميال ، يقطعونها في شهور ، ثم يخوضون مع الأعداء حرباً أو حربين يعودون بعدهما من حيث أتوا ، تاركين إخوانهم يقاسون الغربة ، ويعانون

البعاد .

أما أعداؤه فالمدد منهم قريب ، يأتيهم من البحر ، أو يجدونه في أحلافهم من الأفارقة ، وإذن لن يكون للفتوحات الإسلامية استقرار حتى يكون للمسلمين عاصمة تكون بمثابة قاعدة للفتوح . خاصة وأن القاعدة الأساسية «برقة» أصبحت بعيدة عن مسرح عملياته المقبلة ، وأصبح الموقف الجديد بعد عمليات الفتوح يفترض دفع القاعدة إلى الأمام ، لتكون في موقع مناسب ، وأقرب ما يكون إلى قلب المغرب العربي .

بناء القيروان .

لم يجد «عقبة» بداً من إقامة مدينة تكون معسكراً قوياً للمسلمين ضد أعدائهم الذين يتربصون بهم ، ويتحالفون ضدهم ، ولذلك ما إن وضع الجيش الإسلامي رحاله في منطقة القيروان ، حتى أخذ يكتب للخليفة «معاوية بن أبي سفيان» يبشره بانتصارات المسلمين ، ويزين له مواصلة الفتوحات ، بعد إنشاء مدينة تكون قاعدة صلبة لهم .

وكتب في رسالته :

«هذي سبيلي إلى افريقيا ممهدة ، تغري من معي بالغزو ، وتدعوني إلى متابعة السير بعد الفتح المبين الذي حققناه ، ولكني أفضل أن أتمهل حتى يصلني منكم الإمداد ، وأتخذ لها في أفريقيا مستقراً ومقاماً مدينة نجعل فيها عسكراً ، وتكون عزاً للإسلام إلى أبد الدهر ، فإذا رأيت ذلك فعلت فإن عدو الإسلام قد أعد عدته ، وتأهب ليوم الحرب» .

دعا «معاوية» مجلس حربه إلى الانعقاد ، وقرأ عليهم رسالة «عقبة» وأبشرهم بانتصار المسلمين .

فقال فريق : كيف يشغل «عقبة» جنده بالبناء والتعمير ، وعدوه منه جد قّريب نخاف أن ينقض ، فاكتب إليه محذرين إياه .

وقال فريق : بل نوافق على رغبة «عقبة» وهو رأي الأكثرية ، ومنهم خليفة المسلمين .

وكتب إلى «عقبة» رسالة أوضح له فيها : أن غالبية المستشارين العسكريين يؤ يدون ، ويوافقون على بناء المدينة ، وسأرسل من الجنود من يحاصر القسطنطينية ، ليشغل الروم عنك ، ويقطع إمداداتهم ، فابن مدينتك واستعن بالله في عاجل أمرك وآجله .

اختيار المكان

زحفت جيوش المسلمين تحاصر الروم في الشرق ، وأخذ رجال «عقبة» يبحثون معه عن مكان مناسب ، ولما وصلوا مدينة «قمونية» توقفوا عنده ، ورأوا أن تبنى فيه المدينة ، لكن هذا الموقع لم يعجب «عقبة» لأسباب عسكرية بحتة :

فبلدة «قمونية» التي سبق أن وقع اختيار القائدين : «عبد الله بن أبي سرح» و«معاوية بن جديح» مكان بسيط الأرض ، كثير المراعي ، جيد الهواء ، غزير المياه ، لكنه قريب من البحر ، ولا يجوز أن تكون عاصمة المسلمين على الساحل فهم لم يستعدوا ليكونوا بحارة أو قراصنة ، وليس هدفهم الإقامة فيه ولا أن يبنوا حصنا بحريا يحتمون فيه ويناجزون ، وبخاصة بعد أن تأكد «عقبة» أن قيصر ملك الروم الذي ضرب من البر لا بد أن يأخذ بثأره من البحر ولهذا قال «عقبة» لمن ناقشه :

إني أخاف أن يطرقها صاحب «القسطنطنية» فيملكها ، ولكن اجعلوا بينها وبين البحر مالا يدركها معه صاحب البحر»

كما أن بلدة «قمونية» لم تكن مقاما صالحا كقاعدة مأمونة للمسلمين ، لأن بعضا من غير المسلمين كانوا يسكنونها مع المسلمين ، ونظرا للعلاقات الوثيقة التي لا زالت قوية بين غير المسلمين وبين الروم من جهة ، ولحداثة عهد المسلمين الأفارقة بالإسلام ، وعدم تمكن الايمان في قلوبهم من جهة أخرى ، فقد كان هؤلاء من غير المسلمين خطرا لا يستهان به ، لاحتمال استخدامهم كجواسيس للروم ينقلون إليهم أخبارهم .

سر الحاضرون من الآراد التي ذكرها «عقبة» والتي تدل على فكر ثاقب وعقل سليم ، وكيف لا يسرون ، وهو الذي قادهم من نصر إلى ، نصر ، وأوصلهم إلى المكان الذي يتناقشون فيه ، فوافقوا على رأيه ، ثم قال لهم :

«قربوها من السبخة . .

فقالوا له : نخاف أن تهلكنا الذئاب ، ويأكلنا بردها في الشتاء وحرها في الصيف .

فأجاب : لا بد لي من ذلك ، لأن أكثر دوابكم الإبل ، وهي التي تحمل عسكرنا وأهالي البلاد قد تنصروا ، وأجابوا النصارى إلى دينهم ، ونحن إذا فرغنا من أمرها ، لم يكن لنا بد من المغازي والجهاد ، ويفتح منها الأول

فالأول فتكون إبلنا على أبواب مدينتنا في مرعاها آمنـة من الغارات .

فهو غيور على أمن المدينة برا وبحرا ، حريص على مدها بحاجاتها المعيشية وقد فهم أن الروم كانوا يبنون مدنهم على الشاطىء ، ويربطـون سفنهـم بحبـال إلى منازلهـم ، فإذا ما تعرضَـوا للخطـر ، ركبـوا السفـن إلى عرض البحـر ، والعرب أبناء الصحراء ، وجنودها ، ولهذا فإن سفنهم هي الإبل ، وبحارهم البوادي والقفار .

وتقدم «عقبة» حتى أتى موضع «القيروان» فوجـده واديا كثير الشجر تأوي إليه الوحـوش والهـوام ، وبـه بقـايا من حصون بالية ، وعمران متهدم قد أدركه الخـراب ، فحـط «عقبـة» رحالـه ، والتفـت إلى أصحابـه ، وقـال : «هنـا قيروانـكم ، هنـا مدينتـكم «فنظـر بعضهـم الى بعض كالمتعجب من أمر «عقبة» وقال قائل منهم»

لن نكون بمأمن يا «عقبة» تلك غابة موحشة تموج بالسباع والضباع والذئاب والحيات والعفاريت .

قال «عقبة» حطوا رحالكم ، ورددوا معي : الله أكبـر . الله أكبر كلمة قالها «عقبة» وهدرت بها الجموع الكثيرة هديرا

تجاوبت معه أعماق الصحراء .. يا لقدرة الله .. ويا لرحمته بعباده المسلمين المجاهدين !!

لقد خرجت السباع تحمل أشبالها ، والذئاب تحمل جراءها ، والحيات تحمل صغارها .

وصاح «عقبة» في الناس . قائلا : كفوا عنها ، حتى ترحل عنا غادرت الوحوش والحيات المكان دون أن تؤذي أحدا ، ورأى هذا المشهد عدد كبير من سكان القيروان ممن لم يدخلوا الأسلام بعد . فعدوا ذلك كرامة كبيرة ، وعملا عظيما يدل على أن هناك عونا من الله ، وتأييدا لهؤلاء وأقبلوا على الإسلام زرافات ووحدانا

وقد أحسن «عقبة» في اختيار موقع مدينته ، وأحسن تخطيطها :

فمن هذا المكان يستطيع أن يرى عدوه من بعيد ، قادما من البحر ، أو مهاجماً من البر ، وجعلها حصنا منيعا يقي المسلمين من هجمات الأعداء ويفتح لهم أفضل السبل لمطاردتهم إلى أعماق الصحراء ، وأعالي الهضاب ويمكن الفرسان من الحراسة الدائمة ، والاستطلاع السريع ، والحرب الخاطفة

بداية العمل

ولما اقتنع المسلمون مع «عقبة» بأهمية بناء مدينـة تكون معسكرا قويا للمسلمين في قلب أفريقيا بدء وافي البناء .

وكان ذلك سنة ٦٧٠م وأكمل البناء حوالي سنة ٦٧٥م

وأول عمل قاموا به ، هو بناء سورها الطويل الذي يبلغ حوالي اثني عشر ميلا ثم بناء المسجد الجامع ، وبنى الناس بعـد ذلك مساجدهـم ومساكنهـم . وفي أثنـاء البنـاء كان المسلمو ن يفتحون المناطق القريبة من القيروان ودخل كثير من أهلها الإسلام ، واتسعت خططهم ، وقويت مكانتهم واطمأن من سكن فيها ، فلا معتد يعتدي عليه ، ولامنافق يغدر به ولا دخيل قادم من بعيد أو قريب يهدده ، ويعكر صفوه

ويعتبر المسجد الجامع بالقـيروان من أجمـل المساجـد في العالـم ، وبعـد أن تم تحـير المسلمــون في قبلتــة : أين يوجهونها ؟ وأخيرا هداهـم الله إلى الصواب ، واهتـدوا إلى المحراب .

ومن ذلك الوقت غدت مئذنة بجامع «القيروان» منطلقا للآذان خمس مرات من اليوم ، منـاديا النـاس : حي على

الصلاة . . حي على الفلاح فيقبل المسلمون على مسجدهم من كل مكان ، يلبون نداء الله ، ويتناقشون في أمورهم العامة والخاصة .

وكم عقدت في جامع القيراون من ندوات !! ندوات دينية واجتماعية وعسكرية ، وعلمية فيما بعد .

كم من الرجال المحاربين زاروه ، واطّلعوا على ما فيه !!

وكم من العلماء والباحثين قصدوه !!

وكم من طلاب العلم حجوا إليه واغترفوا من علماء القيروان !!

كم من الوعاظ والمبشرين بالدين وقفوا على منبره !!

ومنذ ذلك الوقت . وحتى الآن يعتبر جامع «الفيروان» من أهم الجوامع التي ينطلق منها روح الإسلام في عظمته وروعتة وصفائه .

ولا زال محط أنظار الكثيرين في العالم ، يزورونه فيجدون فيه كل خير وكل بركة

مكانة القيروان عند المسلمين

تعتبر القيروان ، القاعدة الثانية بعد «برقة» والثالثة بعد الفسطاط وبرقة لنشر الإسلام ، وتسيير الجيوش .

كما تعتبر مدينة «القيروان» أول مدينة للإسلام في المغرب العربي وقد غدت ثكنة من ثكنات المسلمين الكبرى ، يأمنون فيها على أهلهم وأموالهم وأنعامهم : فمنها استطاع «عقبة» أن يقلص نفوذ الروم في المغرب العربي ، وتدمير الروابط بين الروم وبين أهل البلاد الذين يناصرونهم .

لهذا ركز «عقبة» جهوده لإخضاع حركات التمرد . واتبع في ذلك وسيلتين :

الأولى : الترغيب والإقناع عن طريق نشر مبادىء الإسلام السمحة وبالأسوة الحسنة للمسلم في أكمل صورة يقدمها عقبة وجنوده ، وبالعدالة والمساواة . فلأهل البلاد ما للمسلمين ، وعليهم من الوجبات ما عليهم .

الثانية : الترهيب باتباع أساليب الحرب النفسية ، والردع مع التركيز بصفة خاصة على قادة البلاد ، لنزع هيمنة الروم من نفوسهم ، وإشعارهم بقوة العرب .

وبالفعل منذ فقد الروم مكانتهم لدى سكان أفريقيا تدفقوا على «القيروان» يعلنون الطاعة ، ويؤدون ما فرضه الإسلام ، وكثير منهم هداه الله إلى الإسلام ، فأعلن إيمانه ، وتحمس للجهاد في سبيل الله .

وتكون جيش جرار ، قوي بإيمانه وعتاده في معسكر حصين ، في قلب المغرب العربي ، جيش يستطيع أن ينطلق في أي اتجاه ، ويلتقي مع جيوش الأعداء الكبيرة ، أو مع العصابات المناوئة ، ويخوض معها معارك طويلة أو قصيرة ، ويحرز الانتصارات ، ويحافظ عللاها . شاهد «عقبة» بعينيه ، وبعقله هذا الجيش الفتى ، فاشتاقت نفسه إلى الجهاد ، وتلهف رجاله إلى ساحة الجهاد والمعارك ، بعد أن وضعوا أسلحتهم قرابة خمس سنوات ، إلا في مناوشات لا تعد حربا عنيفة .

ولم يكد «عقبة» يعلن عزمه على الجهاد ، والعودة إلى القتال ، حتى استجاب له الألوف من رجاله ومحبيه ، مرحبين بقيادته ، ووضعوا أيديهم على سيوفهم ، يرقبون صيحة الجهاد ، ليشهروها في وجه الأعداء ، ويضربوا فوق الأعناق ، ويضربوا منهم كل بنان .

العواصف الهوجاء !!

ما كاد «عقبة» يتم بناء مدينة «القيروان» حتى أخذت مكانة المدينة ترتفع ، وشأنها يعلو ويعلو ، حتى طغت على مدينة الفسطاط ، في مصر ، بل وعلى كثير من المدن غيرها .

وهـذا ليس غريبـا : فبانيهـا قدم من الشـام في ريعــان شبابـه . وكلـه حمـاس وإخـلاص : للبنـاء ، وللنـاس ، وللفتح ، ولنشر الإسلام في كل مكان إنما الغريب أن يُنظر إلى «عقبة» بعين الجحود والنكران ، رغم ما قام به من أعمال ناجحة ، وما حققه من منجـزات كبـيرة وعظيمـة . ومـن أهمها تأسيس «القـيروان» التـي ضرب بهـا المثـل في ذلك الوقت .ووصفت بأنها من أنجح الأعمال في قلـب المغـرب العربي فلم تبن لغرض عسكري فحسب . بل بنيت لتكون حصنا عسكريا ، ومركز إشعاع ونـور وخـير ونعمـة ولأن «عقبة» بانيها لم يكن ذلك العسكري الذي يضرب ضربته ثم يعود ، ولا ذلك القائد الذي يحرص على جميع الثـروة والمال ، بل كان الرجل الصالح الواعظ ، والمرشد الفقيه ، والأب الأكبر لجنوده ، وللشعب الذي يتحلق حوله .

وأغـرب من هذا كلـه أن يكون من الجاحـدين لفضلـه «مسلمة بن مخلد الأنصارى» أحد القـادة الـذين يسـيرون أمور المسلمين ، والذي عين واليا على مصر وليبيا وتـونس وما وراءها بعد عزل «معاوية بن خديج» سنة ٦٧٥ تقريبا

وما إن تولى «مسلمة» حتى عمل على عزل «عقبـة» لأن أنباء فتوحاته كانت تصل إليه فيتألـم ، وهو قابع في قصرة في

الفسطاط ، ولعقبة الجهاد في سبيل الله ، وتثبيت دعائم الإسلام ولقد كان «مسلمة بن مخلد» يريد من «عقبة» أن يتحرك بأمره ، ويعمل بمشورته لكن «عقبة» لم يستشره، ولم يعمل بأوامره ، لأنه كان مشغولا ببناء «القيروان» فلم يوثق صلته بمسلمة ، كما ان معارك أفريقيا ، ومتابعتها ، والتخطيط لها ألهته عن تعزيز صلاته به ، ولماذا يأخذ منه أوامره ، وقد ولاه معاوية بن أبي سفيان» خليفة المسلمين .

ظن «ابن مخلد» أن «عقبة» يتعالى عليه ، فأصدر أوامره بعزله وعين مكانه «أبا المهاجر دينار»

وهكذا عصفت رياح التغيير بعقبة ، وأبعدته عن قيراونه ، ومحبيه .

أفل نجم عقبة من سماء القيروان

ولكن . . . إلى حين !!

عندما اتخذ «مسلمة» قراره هذا ، فيل له :

لو أقررت «عقبة» فإن لة مكانة وفضلا .

فقال «مسلمة . . إن «أبا المهاجر» صبر علينا في غير ولاية ، ولا كبير نيل ، فنحن نحب أن نكافئه

وهكذا عقد «مسلمة بن مخلد» «لأبي المهاجر» لأنـه كان مقربا منه ، ومخلصا له . وأعطاه كتاب العزل ، فحمله «أبو المهاجر» وتوجه به مسرعا إلى «القيروان» فوجد «عقبة» بين رفاقه وأصحابه من أبناء المغـرب العربـي ، يلقـى عليهـم المواعظ التي ترشدهـم إلى طريق الحـق . فقـدم له كتـاب العزل .

وأساء أبو المهاجر ، إلى «عقبة إساءة كبيرة :

استخف به ، وسجنه ، وأوثقـه في الحـديد ، وأقامـه في السجن شهورا ، ثم أطلقه عندما أتاه كتاب معـاوية» من دمشق بتخلية سبيله ، وإحضاره إليه .

وعندما أطلقه ، أرسله مع رسل من قبله ، حتى أخرجوه من «قابس» مدينـة في تونس إلى ليبيا خوفـا منـه ، لأن له أنصارا ومؤ يدين ، يتفانون في تأييده ، والدفاع عنه . وفي «قصر الماء» قرب قابس طلب «عقبة» من ربه أن ينتقم من أبي المهاجر ، ويمكنـه منـه وعلـم «أبـو المهاجـر» بذلك ، فخاف ، لأنه يعتقد أن «عقبة» تقى ، مستجاب الدعاء



ابن مخلد يخرج لاستقبال «عقبة»

امتطى «عقبة» صهوة جواده ، وتحرك به الركب إلى دمشق وفي طريقه مر بمصر ، فخرج إليه واليها «مسلمة بن مخلد» فاحتفى به ، واستضافه أياما وأخذ يسترضيه ، ويقسم له بالله :

«لقد تجاوز «أبو المهاجر» ، ولقد أوصيته بك خيرا ، وأنت منا «يا عقبة» ملء العين والفؤاد .

واصل «عقبة» سيره إلى «دمشق» وقبل أن يخرج من مصر ودعه «مسلمة» وتمنى له سفرا ميمونا .

ولما وصل «عقبة» إلى دمشق . خف الناس لاستقباله ، مرجيين به أجمل ترحيب وما إن رأى «معاوية» حتى لامه لوما شديدا . . قائلا :

«فتحت البلاد ، وبنيت المنازل ، ومسجد الجماعة ثم أرسلت «أبا المهاجر» فأساء نزلي أيما إساءة» ! !

فرد عليه «معاوية» ردا سياسيا مبررا ما حدث :

يا «عقبة» أنت تعرف أن «مسلمة» وقف معي في أشد الظروف وأصعبها وهذا يقتضي أن نكافئه بما يستحق .

ولما أحس «معاوية» أن عقبة ، غير مقتنع برده ، وأنه في أشد الغضب ، حاول أن يسترضيه ، وأخذ يمنيه بالأماني التي يتطلع إليها ، ووعده أن يعيده إلى «القيروان» ليواصل أعماله التي قطع فيها أشواطا طويلة .

الأعداء يستغلون الفرصة

لقد أدرك الروم الخطر المحدق بهم ، والشوكة الموجودة في ظهورهم ، ألا وهي مدينة «القيروان» لقد خطط لها عقبة ، واختارها في أحسن مكان : فهي ليست بعيدة عن الساحل ، ولا موغلة في الداخل ، هي بين بين .

كما أنها تعتبر قاعدة عسكرية حصينة للمسلمين ، يأمنون فيها على أهلهم وأموالهم وأنعامهم ، وقد صدق ظن «عقبة» كما قال «ابن خلدون» :

«سأبني مدينة تكون قاعدة لسلام المسلمين ، وتبقى أبد الدهر ، صالحة للهجوم الخاطف ، والدفاع الصامد .

والقيروان ليست منعزلة عن الناس ، ولا مترفعة عن أهل البلاد ، بل هي مفتوحة لكل طارق مسالم ، ولهذا قدر لها البقاء ، وتوافد عليها الأفارقة يُسلمون ، ويسكنون .

وكان كلما أقبل الأفارقة على الاسلام ، ضعف الروم ، وتقلص نفوذهم وبالتالي قوى نفوذ العرب المسلمين ، وامتد سلطانهم .

أدرك الروم ومن يواليهم هذا الخطر ، فأخذوا يعملون على تهديمها وتخريبها وكان على رأس هؤلاء «كسيلة» الذي كان يدين بالولاء والطاعة للروم سرا : فبينما كان يضمر الحقد الشديد على المسلمين ، كان يظهر صداقته المخلصة لأبي المهاجر .

وقد حاول «كسيلة» بطل ما أوتي من دهاء وخبث وخداع وتضليل أن يخدع «أبا لمهاجر» ويقنعه بهدم «القيروان» وإنشاء مدينة أخرى تخلد ذكراه ، وبذلك ينسى الناس «عقبة» .

واقترح «كسيلة» أن يكون اسم مدينة «أبي المهاجر» «تكروان» لكن الله مع المؤمنين الصابرين الذين يعملون بجد وإخلاص ، لرفع راية الاسلام عالية خفاقة :

فقد فطن «عقبة» وهو في الشام ـ لما يدبره ابن الكاهنة «كسيلة» لأنه كان يتتبع أخبار المسلمين في «القيروان» :

إن سمع خيرا اطمأن إليه ، وإن سمع شرا تألم في صمت .

لقد كان «معاوية» يدرك تماما أن «عقبة» يريد أن يجني للاسلام والمسلمين ثمار أعماله التي أنجزها ، وأمضى فيها ردحا طويلا من الزمن بين برقة ، وزويلة و ودان ، وغدامس ، وطرابلس ، وسفاقس ، والقيروان .

وبالرغم من الوعود الكثيرة التي بذلها «معاوية لعقبة» وتعهده بإرجاعه إلى عمله في القيروان إلا أنه لم يف بوعده ، وظل «عقبة» سبع سنوات ، يمني نفسه ، ويردد الوعود ويترصد لقاءات «معاوية» ليذكره ، ويطلب منه تنفيذ ما وعد ، ولكن دون جدوى .

آن للنجم الآفل أن يسطع من جديد في سماء القيروان

وتتابع الأحداث ، ويتولى الحكم «يزيد بن معاوية» بعد موت أبيه سنة ٦٧٩ م فيقابله «عقبة» مرة بعد مرة ، ويؤجل عودته ، إلى أن مات «مسلمة» في مصر سنة ٦٨٢ م عندئذ يطلق «يزيد» صيحة كانت مستكينة في الأعماق ، غير قادر على الجهر بها : »أدركوها قبل أن يخربها» يعني أفريقيا ، وأبا المهاجر وهكذا ظفر «عقبة» بما يريد ، ورجع إلى قلب المغرب العربي «القيروان» سنة ٦٨٢ بعد سبع سنوات من إبعاده ، رجع يحمل كتاب التعيين والعزل في يد . وسيفه الذي تاق إلى الجلاد والضرب في اليد الأخرى .

وكان «يزيد» قد جهز «لعقبة» جيشا من عشرة آلاف فارس ، وسار «عقبة من الشام إلى «القيروان» فأخذ «أبا

المهاجر» وحبسه وقيده .. ثم أخذ في ترميم ما تصدع من مدينة القيروان ، ويعيد بناء ما تهدم منها .

عقبة يدرك القيروان

ما إن وصل «عقبة» إلى «القيروان» حتى اتجه إلى «تكروان» وما إن وقع نظره على «كسيلة» في «تكروان» حتى قال له :

ما جاء بك ؟ نظر إليه «كسيلة» في حيرة وخجل ، ولم يجد جوابا . فناب عنه «أبو المهاجر» قائلا :

« أخونا «كسيلة» آمن بالله ورسوله ، أعلن إسلامه ، وهو الآن يقف بجواري ، ويشد أزري ، خرج على إخوانه من رجال القبائل وأحلافه الروم ، أكرمه يا «عقبة» واحفظ له منزلته .

ويرد «عقبة» موجها حديثه إلى «كسيلة»

لو آمنت بالله ، كما آمن إخوانك ـ وهم كثيرون ـ ما أشرت على «أبي المهاجر» بتخريب «القيروان» وهجرها إلى «تكروان»

أجاب «كسيلة» كالمعتذر ،

تستطيع يا «عقبة» أن تعتمد على صديقا ، أنا وقومي خير من يعاونك فإن قبلت فأنا معك ، وإن شاهدت علي غدراً،

فأصنع بي ما بدا لك وارجع الآن إلى «قيروانك» فأعمرها .
سمع «عقبة» أصواتا من حوله تقول ، يشد وثاق كسيلة ، يشد وثاق أبي المهاجر .
قال «عقبة» : لا أشد إلا وثاق من ألزمني بيتي ، وحبسني في داري وحال بيني وبين الجهاد في سبيل الله .
قال أبو المهاجر :
يا «عقبة» أما «كسيلة» فأرفق به ، فإنه من خيار قومه ، وفي عزة من أهله ، وهو من قبل ومن بعد قد أسلم ، وحسن إسلامه . أما أنا . . فقاطعه «عقبة» وقال : أما أنت فيشد وثاقك وتحكم عليك الأغلال ، لتكون عظة لكل من تحدثه نفسه بظلم .
قال أبو المهاجر :
على أن أكون معك حيثما حللت ، أعينك بالرأي ، وأصدقك المشورة فلي بالروم ، ومن يساندهم خبرة
ولكن . . أحقاً كانت «لأبي المهاجر» خبرة يعتمد عليها في محاربة الروم ومن معهم ؟
أقاد حملات موفقة ضد الروم وانتصر فيها ؟ أم إنه رجل جيء به للقضاء على «عقبة» عندما أحس «معاوية بن أبي سفيان» بخطره ، ورأى لزاماً عليه إزاحته من المغرب

العربي . لكن كيف ؟ إن «عقبة» كالجبل الأشم ، وليس من السهل التخلص منه ، وإزاحته عن المغرب العربي الذي قضى فيه ثلاثين سنة ، دانت له «ليبيا» و «تونس» ، وبنى الحصون والقلاع ، وأسس شريعة الاسلام وبنى «القيروان» ، فليضربه بغير سوطه ، ليتخلص منه ، ويكون في حل من عقابه !!

وأوعز «معاوية» إلى «ابن مخلد» والي مصر أن يعزله ، ورأى هذا بدوره أن عزل «عقبة» أمر صعب للغاية ، فطلب من أبي المهاجر عزله بإحسان .

قرطاجنة تتحصن

وهكذا اتُخذ «أبو المهاجر» ، مخلب قط لعزل «عقبة» وإزاحته .

وبالرغم من ذلك ، لم يكن مجردا من الكفاءات العسكرية ، ولم يكن ولاؤه «لمسلمة» هو العامل الوحيد الذي قفز به فجأة لتولي أمر المسلمين في «ليبيا» و «تونس» وإنما كان يتميز بكفاءة قتالية عالية وبكفاءة قيادية جريئة .

فلما إن تسلم قيادته ، حتى سار إلى «قرطاج» . . مدينة تونس عاصمة الروم في إفريقيا في محاولة لازالة هيمنتهم ،

والقضاء على قوتهم في ساحل المغرب من بنزرت ، إلى «طنجة» وحارب «أبو المهاجر» «قرطاجنة» فاستغلقت ، وتحصنت بالأسوار العالية ، فشدد عليها الحصار ، ولما علم سكانها بأن المسلمين لن يبرحوها ، حتى يتم لهم فتحها ، طلبوا الصلح ، فصالحهم «أبو المهاجر» على الجلاء ، ثم أرسل قوة بقيادة «حنس بن عبد الله» الصنعائي إلى «جزيرة شريك» التي كان الروم يتخذونها ـ دائما ـ لحشد قواتهم فيها قبل مهاجمة المسلمين ، ففتحها ، وأصبحت قاعدة للمسلمين .

أسر كسيلة

وسار «أبو المهاجر» مع الساحل في اتجاه الغرب ، لا يعترض طريقه أحد حتى وصل «ميلة» في الجنوب الشرقي «لبجابة» فوجدها مستعدة للقتال وكان فيها جيش من الروم ، وسكان البلاد قد تحصنوا فيها ، فحاربها ، واستولى عليها ، واستقر بها .

وكانت «ميلة» المغربين : الأوسط والأقصى ، فاتخذها مقره ، وأقام فيها سنتين ، وكانت الزعامة في المغربين لقبيلة «أوربة» وزعامتها لكسيلة بن لمزم الأوربي الذي عسكر بـ «تلمسان» فقصده أبو المهاجر ، والتقى الجيشان هناك ،

في معركة كبيرة ، إنتصر فيها المسلمون وأسر «كسيلة» وحمل إلى «أبي المهاجر» فأحسن إليه ، وقربه وعامله معاملة الملوك .

أظهر «كسيلة» الاسلام ، فاستبقاه «أبو المهاجر» واستخلصه ثم انتهى به سيره إلى العيون المعروفة بعيون «أبي المهاجر» وبذلك يعتبر «أبو المهاجر» أول قائد للعرب المسلمين وطئت خيله المغرب الأوسط فصالحهم ، ومنهم «كسيلة» الأوربي ، وصالح الروم ، ثم رجع إلى «القيروان» وأقام بها ، ومعه «كسيلة»

. . . .

الفتح الكبير

سبق أن عرفنا أن «عقبة» أفنى شبابه في أقطار المغرب العربي ، وأحبها وأحبته ، وشيد فيها ، وبنى ، وأرسى القواعد الثابتة ، وكان من الصعب عليه العيش بعيداً عنها .

ولا جدال في أن السنوات التي قضاها معزولاً كانت من أصعب السنوات وأقساها على نفسه .

لذلك ما إن أعيد إلى عمله ، حتى نهض أكثر تصميماً وإيماناً بضرورة متابعة ما بدأ به .

بدأ من فوره في إكمال الاستعدادات لجولته الجديدة ، ليعوض ما فاته من الزمان ، وأعلن الجهاد حتى «طنجة» .

وحاول «أبو المهاجر» ـ وهو في وثاقه ـ أن يقنع «عقبة» حتى لا يذهب في الحملة ، وقال له : من الأفضل أن ترسل «كسيلة» مع قائد الحملة لأن أغلب من في طريقك إلى «طنجة» قد أسلموا .

لكن «عقبة» لم يوافق ، وحرص على أن يقف بنفسه على ما يجري في تلك المناطق وأن يكون له النصيب الأوفى في نشر الاسلام .

وعين على «القيروان» «زهير بن قيس البلوي» . ثم دخل على أولاده ينصحهم ويوصيهم بما يجب عليهم من أعمال طيبة «تنفعهم دنيا وديناً .

وكأنه بهذه الوصية كان يقرأ بظهر الغيب أنه راحل في سبيل الله ولن يعود وتقدم «عقبة» الصفوف شيخاً جاوز الستين من عمره ، ولم تستطع الشيخوخة أن تضعف من إرادته ، أو تنال من قوته : نظرات حادة ، وقوام مشدود يقبض على اللواء بعزيمة لا تنى ، ويد لا تلين ، ويمتطي صهوة جواده في إيمان وإصرار .

وسار في توديعه «زهير بن قيس» عدة أميال ، ولما حانت

ساعة الفراق تعانقا ، وقال «زهير» وددت أن أجاهد معك .

فقال له «عقبة» : ابق في «القيروان» مع الذرارى والأموال . أنا وأنت في جهاد : أنا أخوض المعارك ، وأنت في رباط تحمي ظهورنا .

ولم يكد «عقبة» يجاوز «القيروان» حتى تسامع به رجال البدو فأقبلوا عليه يرغبون في الجهاد معه ، واجتمع حوله منهم جيش كبير وعلم به الروم فجددوا التحالف مع أتباعهم ، وأمدوهم بجماعة من أهل الخبرة بحرب الحصار والحصون ، وأحكموا تدبيرهم .

وانطلق الجيش العظيم يتخطى الحدود ، ويهدم القلاع بسرعة تثير العجب فقد فتح حصن «لميس» ومدينة «باغاربة» ثم «الزاب» ثم «المطلة» على جبل «أوراس» بالجزائر ، ثم دخل «تلمسان» ثانية بعد «أبي المهاجر» ثم «أوربة» وكان حولها ٣٦٠ قرية عامرة ، فهرب الناس من أمامه ، وتجمعوا في الوادي ، غير أنه كره منازلتهم وقتالهم ليلاً ، فتواقف النوم الليل كله ، لا راحة ، ولا نوم ، فسماه الناس إلى اليوم «وادي سهر» لأنهم سهروا فيه ، حتى الصباح .



الحملة على تاهرت

ولما صلى «عقبة» الصبح أمر المسلمين بقتالهم ، فقاتلوهم قتالاً شديداً قتالاً ما رأى المسلمون مثله قط ، حتى يئسوا من أنفسهم ، ثم وهبهم الله النصر ، وولى الروم بعده هاربين ، واستولت الهزيمة على بقيتهم ، ومات من أنصارهم عدد عظيم ، واستولى المسلمون على أسلحتهم .

وفي هذه الموقعة ذهب عز الروم من بلاد «الزاب» . وذلوا ، وتحصنوا مع من نجا من سيوف المسلمين .

ولكن «عقبة» كرم المقام عليهم ، وحصار مدينتهم ، فتركهم قاصداً المغرب حتى نزل «تاهرت» وفيها نشطت القوات المتحالفة من الروم وأشياعهم في حفر الآبار ، وجمع الزاد استعداداً لمعركة حاسمة ترد «عقبة» على أعقابه وتبعد من حوله من المحاربين ، وفي الوقت نفسه أرسلوا كتائب صغيرة تحرض القبائل ضده ، وتقود حملات مباغتة ، تنقض عليه في مسيرته . وأرادوا بهذه الحملات أن يضعفوا قوة المسلمين من جهة ، ويعوقوا تقدمهم من جهة أخرى ، حتى يتم لهم تحصين «تاهرت» ويعرفوا طريقة حربه ويختبروا ما معه من عدة وعتاد .

تقدم «عقبة» إلى «تاهرت» وعسكر بالقرب منها ، فأقبل عليه سكانها ، فمن آمن وصدق بالاسلام ، تحمل الطعام لجيشه .

لقد وجد الناس في «عقبة» مثلاً كريماً للمسلم في تواضعه ونقائه ، فأحبوه والتفوا حوله ، وأعلنوا له خالص المودة والإخاء .

و«تاهرت» معقل جبلي حصين ، وتقع في الجزائر بين مدينتي الجزائر و« هوارة» و« لدانة » وهم في منعة من الحصون التي أقاموها من حولهم . وكان في استطاعة «عقبة» أن يجاوز تلك الحصون بمن فيها ، ويأخذ طريقه ليتم رحلة الفتح الكبير .

بهذا أشار عليه جمع من أصحابه ، ولكن «عقبة» قال :

«إن نحن تركنا هؤلاء في حصونهم ، ومضينا فروا إلى المدن التي فتحناها ، فيدخلونها وإلى القبائل التي عاهدتنا فيحملونها على نقض العهد ، وكيف نسير ، وتترك هؤلاء وراء حربة في ظهورنا ، لا بد من اللقاء ، والحرب بيننا وبينهم لا ريب فيها» .

وحدث ما أفزع جيش المسلمين ، وهدده بالفناء ! نفد الماء ، وجفت الحلوق واشتد الحر ، فصلى «عقبة» صلاة

الاستسقاء ، ثم أمسك رمحه ، وسار في الصحراء ، وأخذ يغرزه ، وطلب من أصحابه أن يحفروا ، فحفروا ، فنبع الماء ، فشربوا ، وسقوا خيلهم وإبلهم نظر الروم من داخل حصونهم فرأوا المسلمين يشربون ، فصمموا على الخروج آمنين ، قبل أن ينفد ما في حصونهم من ماء وطعام .

وكان «عقبة» يراقب تحركات أعدائه بواسطة جواسيسه ، فحذر جيشه ، وأمرهم ألا يناموا ليلتهم ، وأن يستعدوا لملاقاتهم مع بزوغ الفجر . وما أن أدى المسلمون صلاة الفجر حتى رأوا عدوهم يخرج من الحصون التي تحصن فيها ، بأعداد كثيرة لا تحصى ، فنهض «عقبة» وخطب في جنوده :

«يا أتباع» «محمد بن عبد الله» ، انفروا خفافاً وثقالاً ، قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ، وإن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ، وإن يكن منكم مائة يغلبوا ألفاً من الذين كفروا ، شدوا عليهم يدركهم الموت على أيديكم اصبروا ، وإذا لقيتم فئة فاثبتوا ، وربكم عز وجل لا يسلمكم ، فالقوهم بقلوب صادقة ، فإن الله عز وجل جعلكم بأسه الذي لا يرد عن القوم المجرمين ، فقاتلوا عدوكم على بركة الله وعونه .

زحف الجيشان ، والتقى الفريقان ، واشتعل أدوار الحرب ، وتدفقت جموع الروم ، ومن وراءهم من أهالي إفريقيا ، وانكسرت أمواجهم على صخرة المسلمين الصامدة ، وتأخر النصر ، واشتدد الموقف ، ويئس المسلمون من الحياة . وإذ «بعقبة» يحث على الجهاد وينادي» «يا آل بدر ، يا أنصار محمد ، احرصوا على الموت توهب لكم الحياة ، الله ناصركم في «تاهرت» على الروم ، كما نصركم عليهم في «اليرموك» اتقوا الله ، وسارعوا إلى جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين» .

وأخذت تلك الصرخة طريقها إلى القلوب ، فألهبت حماس المسلمين ، وشدت من عزماتهم ، فحملوا على أعدائهم حملة قوية ، لم يستطيعوا ردها ، فأخذوا يتسحبون من ميدان المعارك إلى حصونهم للاحتماء فيها ، لكن بعض فرق المسلمين تصدت لهم ، وحالت بينهم وبين حصونهم ، ووجهت إليهم أعنف الضربات وأقساها وتوالت عليهم هجمات المسلمين من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، فزاغت أبصارهم وتطاير الروم ومن معهم هلعاً وفزعاً ، ونصر الله جنده نصراً مبيناً ، وصلى المسلمون صلاة الشكر لله رب العالمين ، فرآهم سكان البلاد وهم مصطفون

خلف «عقبة» فقدموا عليهم من كل مكان ، يعلنون إسلامهم .

فرح المؤمنون فرحاً شديداً ، وأخذوا يعلمونهم كتاب الله ، وسنة رسوله ثم خلف «عقبة» معهم - فيما بعد - من يعلمهم أمور الدين .

. . . .

طنجة تفتح أبوابها

ومضى «عقبة» في طريقه يقود الجيش الإسلامي حتى بلغ «طنجة» ماراً بعدد من القبائل والمرابض في القرى والصحاري ، ولشد ما كانت فرحة «عقبة» ومن معه حينما وجدوا شباب هذه المناطق يتسابقون لاستقبالهم بالحفاوة والترحيب ، وطبق عليهم «عقبة» تعاليم الدين :

مبلغاً من المال يدفعه من بقي على دينه ، والزكاة على من اعتنق الإسلام ، وما إن وصل الجيش الكبير إلى «طنجة» حتى رآها مدينة مرتفعة زاهية بجمالها وروعتها ، تطل على المحيط ، والماء ينساب من تحتها . توقع «عقبة» معركة عنيفة ، لا تقل من ضراوتها عن المعركة التي دارت في مشارف «تاهرت» فنادى في أصحابه : «خذوا حذركم وأسلحتكم ، وتقدم نحو أبواب المدينة فوجدها مفتحة ،

ووجد في استقباله حاكم «طنجة» وكبار رجال دولته يعلنون الطاعة ، ويظهرون الولاء» .

وتعرف القائد العربي «عقبة» بحاكم «طنجة» وهو الكونت «يُلْيان» وكان نصرانياً ، وقد طلب الأمان والمودة ، ورغب في المهادنة فتلا «عقبة» قوله تعالى : «لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهبان وأنهم لا يستكبرون»

وقد ارتعدت فرائض الكونت من الرعب ، وما إن همس «عقبة» في وجهه وقبل له ذمته ، حتى أقبل عليه ، وتعهد بالاخلاص ، والدخول في ولائه . واستشاره «عقبة» أن يعبر بجنوده إلى الأندلس ، فقال له «يليان» ما ذلك برأي ، وخير لكم أن تذهبوا إلى قبائل الصهناجية الكبرى في جبال الأطلس ، فذلك أيسر عليكم من مغامرة بحرية لا تطمئنون إلى نتائجها . فاقتنع «عقبة» بذلك .

وقال «يليان» أتترك رجال القبائل خلفك ، وترمي بنفسك في الهلاك مع الفرنج ، ويقطع البحر بينك وبين المدد .

وقد استطاع «يليان» أن يقنع «عقبة» بالعدول عن الاتجاه نحو الأندلس ولولا ذلك لتخطى «عقبة» مضيق جبل

طارق ، ولتغيرت خارطة المسلمين عما هي عليه الآن .
وواصل الجيش الإسلامي حملاته وفتوحاته مندفعاً كالاعصار ،يعصف بكل ما يداهمه : جبلاً ، أو أرضاً وعرة ، أو أودياً ، أو تلاً ، أو غيرها من الأماكن المحفوفة بالمخاطر .
لم يتهيب الجيش الإسلامي المخاطر ، ولم يضعف ، ولم يهن أمام مرتفعات أطلس ، بل لم يكتف بما حققه من فتوحات ، بعد أن نشطته نشوة النصر فاندفع غرباً نحو البحر ، وما زال مندفعاً ، حتى وصل إل المحيط ، عند قرية «إيفران» في المغرب العربي الأقصى .
أرخى «عقبة» العنان لجواده ، وسرح فكره في ماضيه البعيد ، يستذكر أيامه الحلوة ، عندما كان صبياً يداعبه الرسول عليه السلام ، ويدعو له بالخير وعندما كان شاباً يافعاً يكر على أعداء الاسلام مع والده في الشام والعراق ومجاهداً في سبيل الله مع ابن خالته «عمرو بن العاص» في «مصر» و«ليبيا» وابتسم «عقبة» ابتسامة عريضة ، عندما تذكر أقطار المغرب العربي وهي تدين بالاسلام ، وتبني المساجد والحصون للدفاع عن العقيدة الإسلامية التي جاءت هداية ورحمة للبشرية جمعاء ، وكيف لا يبتسم

«عقبة» ويفرح ، وينشرح صدره ، وهو يرى بعينيه دولة الإسلام وقد امتدت على يديه في أقل من عامين : امتدت من «القيروان» إلى «جبل طارق»

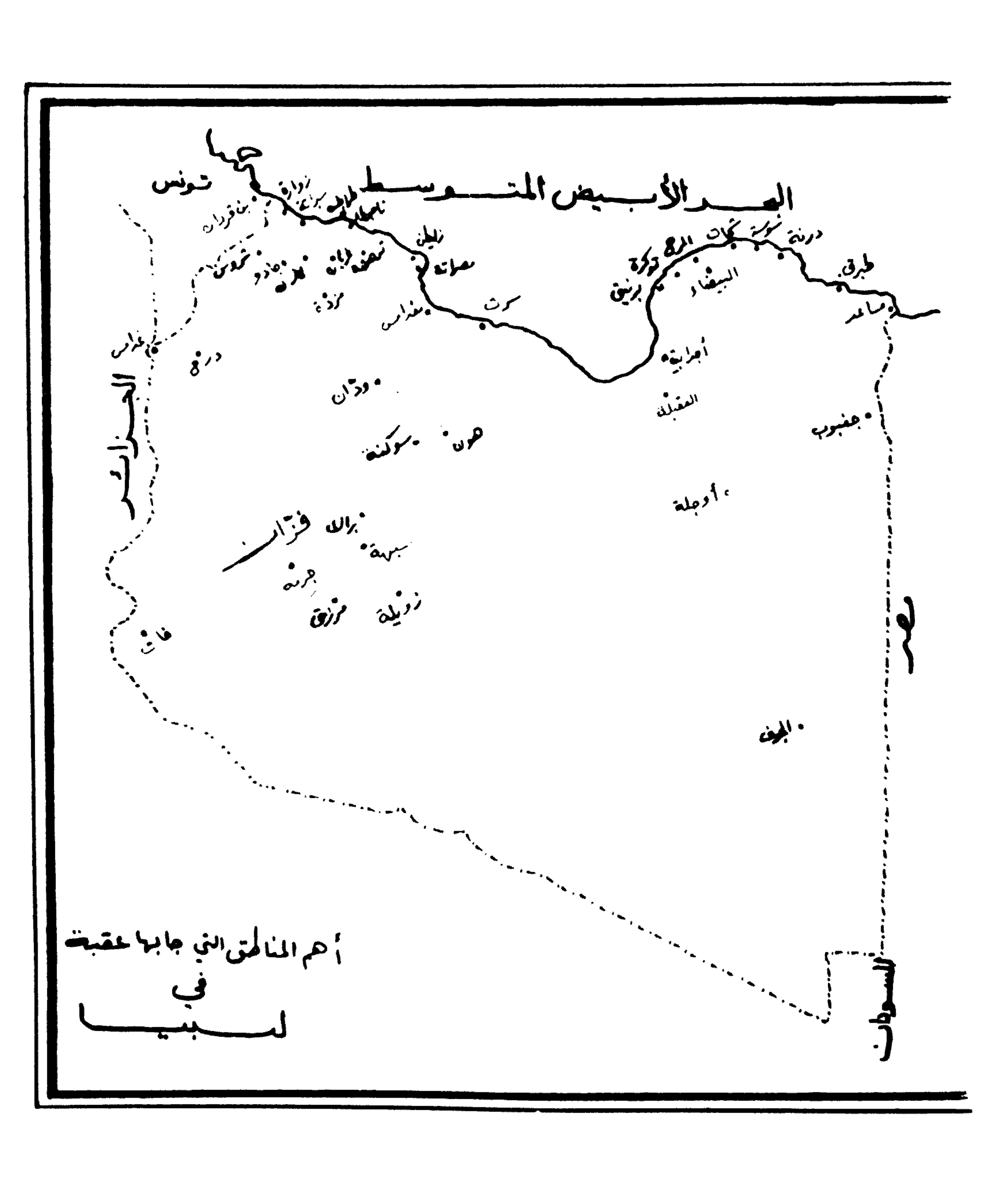
وهكذا استمر «عقبة» مستغرقاً في ذكرياته الجميلة ، حتى أحس بماء البحر يلامس فخذه ، وما زالت قدماه في ركاب جواده ، فأوقفه على كره منه ، فرفع الجواد رأسه ، ومال بأذنيه إلى الأمام ، وصهل في حدة وعنف وهنا يرفع «عقبة» يديه إلى السماء ، والشمس في رابعة النهار ، وماء المحيط ساكن وادع ، وكأنه يتسمع إليه ، وأخذ «عقبة» يردد بصوت يخرج من أعماق فؤاده ، وقد ترامى بصره خلف المحيط :

«يا رب ، لولا هذا المحيط لمضيت مدافعاً عن دينك ، ومقاتلاً من كفر بك وعبد غيرك .

هكذا قال «عقبة بن نافع» فسجل التاريخ في إعجاب ، وبه تحدثت الأجيال في فخر واعتزاز !!

. . . . . .





البحر الأبيض المتوسط
تونس
زوارة
مصراتة
سرت
درنة
طبرق
برنيق
البيضاء
أجدابية
جغبوب
أوجلة
ودان
سوكنة
هون
فزان
سبهة
زويلة
مرزق
الجزائر
مصر
السودان
أهم المناطق التي جابها عقبة
في
لبيا

طريق العودة

نعم . لقد سجل التاريخ في ذلك الزمان ، وتحدث عن الانتصارات الرائعة التي حققها «عقبة» في حملته الكبرى من «القيروان» إلى جبل «طارق» .

إنها انتصارات جعلت العالم كله مشدوداً إلى متابعتها :

فالمسلمون في الحجاز والعراق والشام ، والسند ، ومصر ، والمغرب العربي يتابعونها بفخر واعتزاز ونشوة ، والروم والفرس ، ومن يؤ يدهم يتابعونها بحسرة وألم . والقوط في الأندلس ومن وراءهم يتابعونها ، وكأن خطراً ماحقاً يوشك أن يأخذهم أما سكان المناطق النواقعة في أقطار المغرب العربي ، وبخاصة ما كان قريباً من ميادين المعارك ، فإنهم يتابعونها بشوق شديد للقاء . «عقبة» قائد هذه المعارك ، ليعلن من لم يسلم منهم إسلامه على يديه ، ولينضم إلى إخوانه المدافعين عن دينهم وشرفهم .

وقد رحب بهم «عقبة» أيما ترحيب في كل مكان التقى فيه بهم ، وبنى لهم المساجد ، وعين لهم من خيرة أصحابه من يبقى معهم ليرشدهم ، ويعلمهم أمور دينهم وبعد أن وقف «عقبة» على مضيق جبل طارق ، ورآه يقف حائلاً دون مواصلة حملاته ، قرر العودة إلى «القيروان» .

وكان يصحبه في عودته «أبو المهاجر» مكبلاً بالأغلال ، واين الكاهنة «كسيلة» وكان «عقبة» قد لحظ على «كسيلة» ـ منذ أن رآه لأول مرة في «القيروان» الغدر والمكر والحقد ، كما لحظ عليه أنه يكن للعرب المسلمين كل شر وبلاء .

لذلك كان «عقبة» يستخف دائماً «بكسيلة» ، ويشتد في استخفافه وتحقيره كلما طلب منه أحد أن يقدر مكانته ، ويفضله على غيره من أبناء قومه .

وتحقيراً «لكسيلة» واستخفافاً به ، أمره مرة أن يذبح مع الذابحين ، ويسلخ مع السالخين من عبيده .

ولما كان «عقبة» لا يثق «بكسيلة» وكان يشك في إسلامه ، وكان دائماً يتوقع منه أن يؤلب عليه رجال القبائل في غفلة منه ، فقد اقترح على المحاربين معه أن يعودوا من طريق غير الطريق التي أتوا منها ، فأخذوا طريق الصحراء الوعرة ، تاركين الطريق الساحلي السهلة .

وفي أثناء عودتهم تحقق ما كان يتوقعه «عقبة» من «كسيلة» فقد غافل المسلمين ، وفر هارباً إلى قومه ، وارتد عن الإسلام ، وأخذ يحث قبيلته «أوربة» من الأطلس الوسطى على حرب العرب المسلمين ، والانضمام إلى أعدائهم الروم ، والوقوف معهم .

ولما وصل جيش المسلمين إلى مدينة «طنجة» أذن «عقبة» للكثيرين ممن كانوا يحاربون معه بمواصلة السفر إلى «القيروان» ومال هو وعدد قليل من الجند إلى بلدة «تهوزة» .

وفي مدخل طريق وعر ضيق يؤدي إلى «تهوزة» وقف الجيش . . فقد أغلق سكان «طنجة» الأبواب دونه ، وأرسلوا إلى «كسيلة» يعلمونه بوصول الجيش الاسلامي إلى حصنهم ، وقلة عدده .

وما إن علم «كسيلة» بوجود «عقبة» في بلدة «بسكرة» تهوزه حتى أسرع يضيق عليه الخناق ليلاً من كل الجهات ، لأن «كسيلة» منذ أن فر وهو يحرض عليه أبناء قبيلته «أوربة» ومن يؤيدها ، كما إن «كسيلة» كان متفقاً مع الروم ألد أعداء المسلمين .

وبالرغم من أن «عقبة» كان يتوقع من «كسيلة» كل غدر وخديعة لكنه لم يكن يتوقع أن يكون هجوم أهدائه في منطقة «بسكرة» التي لا تبعد كثيراً عن «القيروان» .

وعندما فوجىء «عقبة» بتحركات أعدائه ، وأحس بالخطر الذي يهدده ، أدرك خطأه الفادح ، وهو السماح لأكثر جنوده بالذهاب إلى «القيروان» وبقاؤه مع عدد قليل من جنوده في

«بسكرة» إنها خديعة «كسيلة» ولكنها خديعة لم تفل من عضد «عقبة» ولم تنل من عزمه ، ولم تثنه عن حرب أعدائه ، فوقف أمامهم كالجبل الأشم ، يحاربهم في صلابة ، ولم يكن معه إلا ثلاثمائة من أفضل رجاله ، وفيهم عدد من صحابة رسول الله ، ولاحت في الأفق بوادر خطر ماحق ، فتضايق أبو المهاجر من أغلاله التي حزت ساعديه ، وغلا الدم في عروقه نخوة ورغبة في الاستشهاد ، وتمثل يقول أبي محجن الثقفي :

كفى حزناً أن تطعن الخيل بالقنا
وأترك مشدوداً على وثاقيا
إذا قمت عناني الحديد وغُلِّقت
مصارع من دوني تضم المناديا

ألا ما أشبه الليلة بالبارحة ! !

بلغ «عقبة» ذلك ، فأمر بفك قيوده ، وقال له :

ألحق بالمسلمين ، وقم بأمرهم ، وأنا أغتنم الشهادة ، فلم يقبل «أبو المهاجر»

وقال «لعقبة» :

وأنا أيضاً أريد الشهادة ! !

وتصالح القائدان ، واتفقا ، وكسرا جفني سيفيهما ، وكسر الجنود جفان سيوفهم كذلك ، واستعدوا لخوض المعركة ، وهم يعلمون أن الشهادة أمامهم ، وأن الجنة مأواهم : !

واستشهد «عقبة» ومن معه في مصرع واحد «ببسكرة» التي تقع اليوم في الجزء الشمالي الشرقي من الجزائر ، وأصبح قبره مزاراً ، وقد بنى عليه فيما بعد مسجداً يعتبر أقدم أثر فني إسلامي في المغرب العربي .

ولما وصل الخبر إلى «زهير البلوي» الذي عينه «عقبة» على «القيروان» أحس بخطورة الموقف ، وأخذ يحث المسلمين على الحرب والصمود .

وصمم أبناء «عقبة» وأحفاده على المضي في طريقه ، واضعين في اعتبارهم أنه ما دام «عقبة» قد نجح في الوصول إلى المحيط الأطلسي ، فمن الطبيعي أن يستعدوا للوصول إليه ، بل ويتجاوزوه .

رحم الله «عقبة» ، دخل «ليبيا» عسكرياً ، وحارب فيها جندياً وقائداً وظل في المغرب العربي من أقصاه إلى أقصاه مناضلاً مجاهداً سيفه في يد وفي الأخرى القرآن شريعة الإسلام من سنة ٦٤٢ ـ ٦٨٢م . عدا سبع سنوات قضاها

ـ على كره منه ـ مسجوناً أو معزولاً .

وقد وهب عمره للجهاد ، فلا يعنيه ـ ما دامت تظله راية الجهاد في الإسلام ـ أن يكون جندياً أو قائداً ، ولكنه في كل الأحوال لم يتنازل عن مقدمة الجيش أثناء الهجوم ، ليقدم لرجاله القدوة الطيبة والأسوة الحسنة ، وعند العودة من غزواته ، أو انسحابه منها يكون في المؤخرة . ليحمي جيشه من شر هجوم مفاجىء ، وهذا ما فعله في آخر معركة له فقد حمى جيشه ، وفداه بروحه .

رحم الله «عقبة بن نافع» فقد كتب بدم الشهيد وثيقة الشرف والبطولة وقدم مثلاً للعقيدة الإسلامية الشابة كيف تتغلغل في النفوس ، وتنساب في الأرواح والعقول ، فإذا الموت أحب من الحياة !! وإذا الشهادة أغلى وأعز ما يحرص عليه الرجال !!

رحم الله «عقبة» فقد كان مثلاً ، وكان قدوة لكل مجاهداً جاهد في سبيل الله مترفعاً بجهاده عن متاع الدنيا ، مؤمناً بأن كل ما فوق التراب تراب !!

رحمه الله !!

. . . . . .

تونس

إفريقية

« والمدن التي دخلتها الجيوش المسلمة أو بنتها »

هنيئاً لأحفادك البررة

من كان يظن أن بطلاً مقداماً مثل «عقبة» يضمه قبر صغير . بعد أن قهر أقوى الرجال من الأعداء في ساحات الوغى والنزال ، وطرد الكفار من كل مكان وحرر من الشرك والكفر والضلال مناطق شاسعة تمتد آلاف الأميال ونشر في ربوعها الإسلام ؟

من كان يظن أن رجلاً قوياً مثل «عقبة» يضمه قبر صغير ضيق ، بعد أن شق بإيمانه القوي قمم الجبال ، وطوى بعزيمته التي لا تلين أطول المسافات ، وسار بجلده وصبره في أصعب وأقسى الطرقات ؟!!

من كان يظن أن رجلاً مثل هذا يرقد تحت قبة بيضاء ، ويغدو جثة هامدة لا نبض فيها ولا حياة ؟!!

إنها إرادة الله ومشئيته :

أراد الله لعقبة أن يفوز بنعمة الشهادة . وشاء له أن تسعد روحه في الملأ الأعلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين ، وحس أولئك رفيقاً وإذا كانت العقيدة خالدة ، والبطولة باقية ، والشهداء أحياء . «فعقبة» لم يمت ، ولن يموت . فما كان «عقبة» إلا عقيدة ، وبطولة ، وشهيداً .

ولسوف تظل روحه الطاهرة ترفرف في سماء العروبة والإسلام ، متجددة مع الأزمان تبعث في نفوس أبنائه وأحفاده الأمل والرجاء ، وتضع نصب أعينهم القيم الكريمة التي آمن بها ، والمكاسب التي حققها ، وتدعوهم إلى مواصلة الكفاح والنضال في عزم وإيمان وإصرار .

وما إن استشهد «عقبة» في «بسكرة» حتى اهتزت أقطار المغرب العربي ، وثارت ثائرتها ، وهبت لتأخذ بثأر قائدها ومحررها ، وناشر الاسلام بين ربوعها ، فافتقدت أبناءه ، والتفت حول خليفته «زهير بن قيس» ليواصل المسيرة التي بدأها «عقبة» الشعيد !!

. . . . .

لم يمت «عقبة» . . نعم لم يمت . . ولن يموت . .

فها هو ذا حفيده «طارق بن زيد» ينهض من قلب «إفريقيا» من قبائل «الطوارق» يمتطي صهوة جواده ، شاهراً سيفه ، ملتحماً مع أعدائه ، موجهاً إليهم الضربات التي قضت عليهم قضاء مبرماً ، وفرضت عليهم الخضوع والتسليم . .

ويواصل «طارق» حملاته على أعدائه، يطهر الأرض التي باركها «عقبة» ، وأحبها وأخلص لها . . وعلى ثراها قاتل ،

وفي ثراها استكان !!

ها هو ذا حفيدك «طارق بن زياد» ينطلق كالاعصار يقهر الطغاة ، ويدوس بسنابك خيله أعداءك . أعداء الاسلام . . أعداء الإنسان . حتى يقف على مضيق الجبل الذي وقفت عليه ، ويحقق أملك الذي رددت صداه أمواج المحيط فيتخطاه واثقاً مؤمناً ، ويقيم في الأندلس ، فردوس الإسلام .

ها هوذا حفيدك ابن الفرات يؤسس للإسلام دولة في «صقلية» ويبني له جاهاً .

. . . . .

وفي المغرب العربي الحديث ما زالت صيحات عقبة تدوي في سمائه . . «عقبة» الذي صارع في سبيل الحرية المروم، وفي سبيل العقيدة الكفر ، وفي سبيل الإنسانية الطغيان وهب الأحفاد اليوم يلبون النداء ، فحاربوا من أجل استقلالهم الطليان حتى طردوهم ، وأجلوهم عن ليبيا ، وصارعوا من أجل حريتهم الفرنسيس حتى طردوهم من تونس والجزائر والمغرب وموريتانيا ، وناضلوا من أجل كرامتهم أمريكا وعصفوا بقاعدتها «هويلس» بتاجوراء . وأقاموا عليها قاعدة «عقبة بن نافع» لتبرهن من جديد على

أن ذلك البطل الشهيد ما زال يملأ المغرب العربي بالإيمان ، ويغمره باليقين ، ويغريه بالتضحية والفداء .

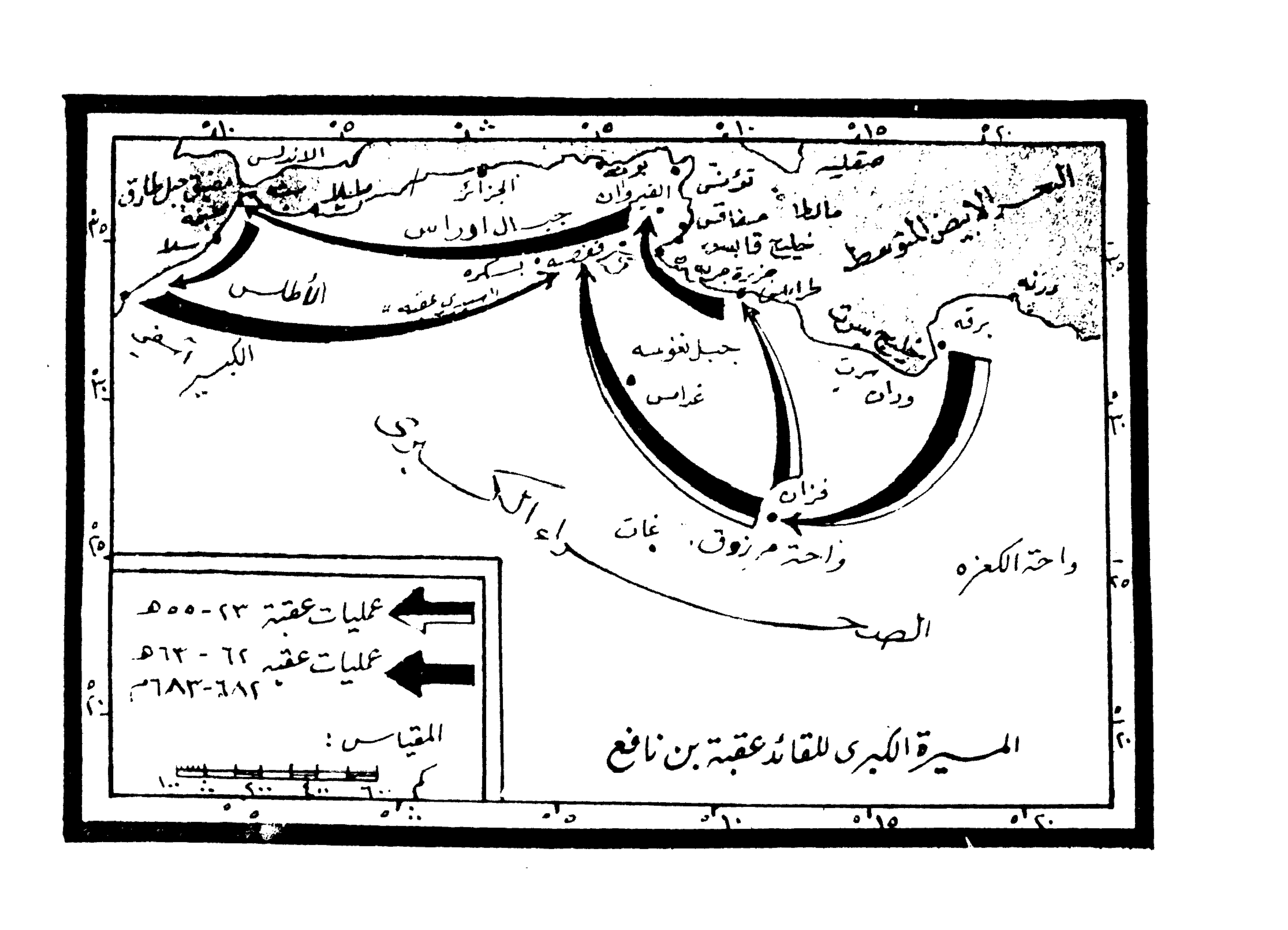
فهنيئاً لأحفادك البررة الذين يناضلون ويناضلون ، لا بقوة السلاح وحده ولكن بقوة العقيدة وبالفكر الحر الرشيد أيضاً ، ليحرروا العالم أجمع من العبودية والقهر والاستغلال .

وما الصيحات الحرة التي يتردد صداها في عالمنا اليوم إلا صيحات أحفادك البررة ، ولن تضيع سدى ، لأنها صيحات حرة واثقة مطمئنة . . صيحات تنطلق من فكر نير ، وقلب مخلص ، فتتلاقاها الأفكار النيرة ، والقلوب المخلصة بالإيمان والالتزام . .

إنها صيحات تحث المقهورين الكادحين على الزحف السريع ، لدك قواعد الظلم والاستبداد ، وتدمير معاقل الشر والفساد ، وتحرير الانسان من استغلال أخيه الإنسان .

إنها صيحات تبشر الإنسان أينما كان بالخير والأمان ، والحب والسلام .

رحم الله «عقبة» وجعل للناشئة من أبنائنا ـ وفي أمثاله من عظماء الرجال ـ أسوة حسنة



المسيرة الكبرى للقائد عقبة بن نافع
البحر الأبيض المتوسط
صقلية
مالطا
تونس
صفاقس
خليج قابس
جزيرة جربة
طرابلس
القيروان
بونة
الجزائر
الأندلس
مضيق جبل طارق
سبتة
طنجة
جبال اوراس
الأطلس
أسفي
بسكرة
قفصة
خليج سرت
برقة
درنة
سرت
ودان
جبل نفوسه
غدامس
فزان
غات
واحة مرزوق
واحة الكفرة
الصحراء الكبرى
عمليات عقبة ٢٣-٥٥ هـ
عمليات عقبة ٦٢ - ٦٣ هـ ٦٨٢-٦٨٣ م
المقياس :



الفهرست


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com